هذي

الوهّابيّة

محمد جواد مغنية

معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية
في منظمة الاعلام الاسلامي
٢٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

۱۳۶۰
سازمان تبلیغات اسلامی

هذي

الوهّابيّة

محمد جواد مغنية

منظمة الاعلام الاسلامي

٢٨٠

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

الكتاب : هٰـــذي هِي الوَهابِّية
المؤلف : العلاّمة المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية
الـنـاشر: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي.
الجمهورية الاسلامية في ايران ــ طهران ــ ص . ب ١٣١٣/١٤١٥٥.
الطبعة : الثالثة
المطبعة : سپهر/ طهران
التاريخ : ١٤٠٨ هــ . ق / ١٩٨٧م.
طبع منه : ١٠٠٠٠ نسخة

مقدمة الناشر

لقد امتدت اليد الامريكية الاستكبارية من خلال الكُمّ السعودي اللئيم ، يدفعها حقدها الدفين ضد الأمة الاسلامية ، ويحركها عار الهزيمة النكراء التي لقيتها قواها المندحرة في الخليج الفارسي ، وعلى جبهة الاعتداء العراقي العميل على ايران الاسلام .

نعم ، امتدت هذه المرة إلى حرم الأمن الإلهي وفي الأرض الحرام والشهر الحرام لتضرب ضيوف الرحمٰن من الحجاج الايرانيين و بيد ألأم خلق الله وأكثرهم نفاقاً ، وأشد المنتسبين للاسلام عمالة لأعدائه . ولم يكن للحجاج الايرانيين من ذنب اللّهم إلاّ أنهم استجابوا لنداء ابراهيم (ع) ولبّوا دعوته وجاءوا يطوون المسافات على كل ضامر ليعلنوا شعاره و يعظموا دعوة ربه ، و يرفعوا شعار : (البراءة من المشركين) . فما كان من الحِقد الامريكي ــ السعودي ــ إلاّ أن يجيبهم بوابل من الرصاص يمزق صدورهم المؤمنة ، و يشج حناجرهم الطاهرة .

ومُذ أُحرق العلم الامريكي (رمز الشيطان) راح جنود آل سعود

(العملاء التاريخيين للاستكبار العالمي) يحرقون أجساد ضيوف الرحمن دونما رحمة ولا خشية من عذاب الله.

وتكررت (الجمعة السوداء) التي صنعها جنود الشاه بهلوي ولكن على يد الشاه العميل فهد وفي الأرض المقدسة وضد ضيوف الرحمن الصادقين والملبين لنداء ابراهيم (ع).

ولن ينقضي عجبنا من غفلة بعض المسلمين ونومتهم، وغباء بعض وعّاظ السلاطين الذين ما زالوا يظنون خيراً بهؤلاء المجرمين المتحكمين بالحرم الإلٰهي والمانحين إسمهم لأرض الله والفارضين سلطتهم على مكان لا سلطة فيه إلاّ لله، ولا قدرة فيه إلاّ للاسلام، ولا يمكن لأحد من المسلمين أن يدعي تفرده بإدارته. فكيف بهذه الطغمة العميلة التي صاغها الاستعمار الانجليزي العجوز من أول الأمر حين أوحى للذهن الذي حمله محمد بن عبد الوهاب. ودعاه إلى تكفير كل المسلمين، وهدم كل المعالم التاريخية الاسلامية الموحية والراسمة لمعالم مسيرة الأمة عبر التاريخ، وخلق هذه النِحلة العميلة لتؤدي دورها إلى جانب النِحلة البهائية والقاديانية وأمثالها في تمزيق المسلمين وتمهيد السبيل للاستكبار العالمي كي يعبث ما يشاء بهذه الأمة و يسلبها مواردها و بدأت عملية الهاء وتكفير واسعة والقاء للشبهات وهو ما نلاحظ جزءاً منه في هذا الكتاب الموجز الذي ألفه العلامة الشيخ محمد جواد مغنية (رحمه الله) وهو العالم الغني عن التعريف فعرّى فيه هذه النحلة المصطنعة.

و بعد أن ركّز الاستعمار هذا الاتجاه الجاف الممزق راح يمهد لسلطة مناسبة ولعائلة صهيونية عرفت في طول تاريخها بالعمالة.. فهيأ كل الأجواء ليجلب زعيمها من منفاه في الكويت، ومهد كل الظروف لتقدمه خطوة خطوة، وضم إليه جنرالاً انجليزياً حقوداً هو (جون فيلبي) ليعلن هذا المجرم إسلامه، وليسمي نفسه بـ (عبد الله فيلبي) وليؤدي

دوره الكبير لغرض سيطرة الأسرة السعودية على الأراضي المقدسة. وهكذا كان الأمر. ودخل كبير العائلة السعودية بيت الله الحرام وصلى خلف الجنرال قيلبي في البيت الحرام. والمسلمون في غفلة ما بعدها غفلة، وتمر هذه المهزلة الانجليزية دونما وعي لأهدافها، وتصبح العائلة السعودية في طليعة الداعين إلى الله (!!) وما دعاؤها إلاّ للشيطان، وترفع شعار لا إله إلاّ الله ولا شعار لها إلا تمرير مخططات نظام الاستكبار العالمي وحفظ مصالحه في المنطقة. وهكذا تنجح أكبر مؤامرة على العالم الاسلامي، بعد أن أصبح الاسلام منحصراً بالفكر الوهّابي الجاف والممزق، وأصبح النظام الاسلامي وعبر هذا التآمر ــ متجسداً بالنظام السعودي ــ المتهرىء المتحلل، ونجحت فكرة فصل الدين عن السياسة من خلال عمل هذا النظام على استلال روح الحج وهو أعظم تظاهرة إيمانية للمسلمين، وتحويله إلى شعيرة تحذيرية لا روح فيها ولا أثر، تمر كل عام دون أن تترك أي أثر على حياة الأمة الاسلامية، وتقام كل عام فلا تلقي بالاً للوضع السيّىء الذي تمر به الأمة حيث تمزقها يد الكفر العالمي. وراحت الأموال السعودية تبذل هنا وهناك لسحب العلماء الى حلبة الارتباط بالنظام الرجعي، واسكات أصوات المفكرين المنادين بالحرية، وخنق الحركات الاسلامية المنادية بعودة الاسلام، وأخيراً صبت الأموال السعودية كل وجودها لايقاف زحف النور الإلٰهي العظيم الذي بثته الثورة الاسلامية المباركة، ومنع تسرب الدماء الاسلامية الجديدة الصافية إلى عروق شباب هذه الأمة وقلوب مفكريها المخلصين، ونفوس جماهيرها العظيمة ظناً منها انها تستطيع أن توقف مسيرة الصحوة الاسلامية، وتسكت صوت اليقظة الكبرى من أن يهز عروش العملاء، ويحطّم أساطير الاستكبار، و يفشل خططه العالمية، ولات حين إيقاف للمسيرة.

والخطورة كل الخطورة تكمن في أن هذه الفئة المجرمة تتبرقع بالدين ، وتدّعي حماية الحرمين ، وترفع شعار التوحيد ، وتبذل الأموال باسم الدعوة إلى الاسلام ، إلى ما هناك من الأساليب المنافقة .

ولا نظن أن المنخدعين بهذا البرقع هم أهل البصيرة والدين والاخلاص بعد أن كانت كل علائم النفاق واضحة . وإلاّ فبماذا نفسر :

- كل هذا التاريخ الأسود والملطخ بعار العمالة .
- وكل هذا التشويه للاسلام وعقائده وشعائره .
- وكل هذا التمرير للمخططات الاستعمارية .
- وكل هذه الأموال المبذولة لدعم الاتجاهات الرجعية .
- وكل هذه الرساميل النفطية التي صبّت في جيوب الشركات الاستعمارية من خلال تخفيض أسعار النفط ، ومن خلال دعم المؤسسات الاقتصادية الغربية .
- وكل هذه الأموال المهدورة التي صبّها النظام السعودي المجرم في جيوب النظام البعثي العراقي المجرم ليقوم بعدوانه المشهور والمستمر على الثورة الاسلامية ، حيث أسفر الاعتداء الأثيم ـــ وما زال ـــ عن ملايين المهجّرين المسلمين ومئات الالوف من القتلى ، وعشرات المدن المهدمة ، والمليارات من الأموال التي كان المفروض فيها أن تُصرف لصالح بناء هذه الأمة .
- وكل هذا الدعم للنظم العميلة في الأردن ومصر والمغرب وغيرها .
- وكل هذه الاطروحات المساومة للعدو الصهيوني .
- وكل هذه القواعد الممنوحة لطائرات التجسس الامريكية .
- وكل هذا البذخ والترف والحياة الداعرة للأمراء السعوديين .

وأخيراً ، بماذا نفسر هذه الحملة السعودية الوحشية المسعورة ضد الحجاج الايرانيين وقتل المئات وجرح وضرب الألوف لا لشيء إلاّ لأنهم اشتركوا في مسيرة تعلن البراءة من المشركين والمستكبرين ، وهي ــ أي البراءة ــ روح شعيرة الحج وعصارة نداء إبراهيم (ع) ــ بصريح القرآن الكريم .

نعم ، هل يمكن أن نفسر بحر الدم والدموع الذي أجراه عملاء آل سعود في بيت الله وفي مكة المكرمة إلاّ بما نفسر به فعلة الحجاج بن يوسف حين هاجم الكعبة ، وفعلة يزيد بن معاو ية حين قتل ضيف الرحمٰن العظيم الحسين بن علي عليه السلام ، وقبل ذلك فعلة كل أولئك الذين هاجموا هذه الأمة وضربوها في الصميم .

إنَّ هذا الوضع المنافق الذي يتلبس به آل سعود يذكّرنا بالصورة الدقيقة التي تعرضها علينا الآيات القرآنية لصفين متقابلين (صف الحق وصف الباطل) فصف الحق رغم قلته واستضعافه هو صف المتقين والصف الطيب ، أما صف الباطل فهو صف (الكفر والنفاق والمكاء والتصدية وانفاق المال للصدّ عن سبيل الله) ، ومن الطبيعي ان سُنّة الله تقضي بانتصار صف الحق والمظلومين والمستضعفين على صف الكفر والنفاق .

فلنقرأ معاً هذه الآيات الكريمة بكل إمعان :

« ومالهُمْ ألاّ يُعذِّبهُمُ الله وهم يَصدُّونَ عن المسجدِ الحرام . وما كانوا أولياءهُ إنْ أوْلياؤهُ إلاّ المُتَّقونَ ولكنَّ أكثرهُمْ لا يَعلمون * وما كانَ صَلاتُهُمْ عندَ البيتِ إلاّ مُكاءً وتصديةً فذوقوا العذابَ بِما كُنتمْ تكفرونَ * إنَّ الّذينَ كفروا يُنفقونَ أموالهُمْ لِيصُدُّوا عن سبيلِ الله فَسَيُنفقونها ثُمَّ تكونُ عليهِم حسرةً ثُمَّ يُغلبونَ * والّذينَ كفروا إلى جَهنّمَ يُحشَرونَ * لِيَميزَ الله الخَبيثَ من الطَّيّبِ ويجعلَ الخبيثَ بعضهُ على

بَعضٍ فيركُمَهُ جميعاً فيجعلَهُ في جهنَّمَ أولئكَ هُمُ الخاسِرونَ » (الأنفال : ٣٤ ــ ٣٧).

فهنا صف الكافرين المنافقين المدَّعين للولاء للبيت الحرام والولاية عليه وهم يعملون قوتهم للصد عنه و يدعون الصلاة عنده ولكن صلا تهم لا تعدو كونها صفيراً وصراخاً وألفاظاً وتصفيقاً دون أي محتوىً ، وإنما هي عملية تحايل على البيت وربه ، وهي بالتالي تستتبع العذاب الشديد . والصفة الأخرى التي يحملها صف هؤلاء الموالين للشيطان أنهم يملكون القدرة المالية الواسعة وهم ينفقونها للصدِّ عن سبيل الله تعالى واسكات صوت الحق ولكنها تتحول إلى حسرة وهزيمة وتقودهم بالتالي إلى جهنم .

و بهذا يتميز هذان الصفان : صف خبيث خبث الشيطان ، وآخر طيب يستمد طيبه من الرحمٰن . وإذا كان الصف الخبيث يجمع قواه الواحدة تلو الأخرى و يستعرض عضلا ته ضد صف التوحيد فإنه خاسر لا محالة ، وتجمع الخبيثين لا يزيدهم إلاّ ضعفاً ، لأن كل جزء خبيث سوف يتحمل إثم كل الأجزاء الأخرى وضعفها ولذلك فتوحدها الظاهري ركام لا رابطة بينه ولا علاقة تجمعه ، وهو بالتالي يسير نحو الانهيار الحضاري في الدنيا ، والخسران في الآخرة .

تعالوا معاً نستعرض الصفين القائمين اليوم .

فهذا صف الصحوة الاسلامية والتوق نحو تطبيق القرآن على كل الحياة ، وطرد الاستعمار شرقيه وغربيه ، والبراءة من المشركين والملحدين والكفرة ، والصراع ضد الطواغيت ، والدفاع عن قضايا المستضعفين وعلاء المسلمين ووحدتهم ، واسترجاع موقعهم الحضاري الرائد ، والعمل على أن يكون الدين كله لله ، إنه صف الطيب بكل معانيه .

و يقف في قباله صف الاستكبار العالمي الرأسمالي والاشتراكي وكل المشركين والانتهازيين وذوي العروش العميلة والممتصين لدماء الشعوب والصهاينة ، والمتحكمين بمصائر الأمم والمستأكلين بدينهم من وعّاظ السلاطين إلى ما هنالك من عناصر الخبث المتجمعة بعضها على بعض والمتراكمة جميعاً تظن أنها ترهب المؤمنين الموحدين المضحين .

انها تشن حرباً دبلوماسية في باريس ولندن وفي البلدان الضعيفة المحكومة كتونس وموريتانيا والسنغال وغيرها .

وتشن حرباً إقتصادية محاصِرةً بها الجمهورية الاسلامية ، ومضيّقة الخناق عليها . وما قرار مجلس الأمن الأخير إلاّ حلقة أخيرة من هذه السلسلة .

وتشن حرباً عسكرية تهديدية وفعلية من مصاديقها الهجوم البعثي العراقي الغادر على الثورة ، ومن مصاديقها وقائع طبس والخليج الفارسي وأمثالها .

وتشن حرباً إرهابية ضد كل القوى الحركية المؤمنة في شتى أنحاء العالم الاسلامي وضد كل متعاطف مع خط الثورة الاسلامية ، وآخرها هذا الهجوم البربري القذر للقوى العميلة في السعودية على ضيوف الرحمٰن .

امريكا وفرنسا وانجلترا وروسيا والعملاء والشركات ووسائل الإعلام الضخمة والمحافل الدولية وكل وكلاء الخبث الشيطاني يتجمعون ولكنه تجمع ركام يسير نحو جهنم .

وهنا صدر النداء القرآني العظيم بعد الآيات السابقة :

« قُلْ لِلذَين كفروا إنْ يَنتهوا يُغفَر لهم ما قد سَلَفَ وإنْ يعودوا فقد مَضتْ سُنَّتُ الأوَّلين * وقاتِلوهُمْ حتى لا تكونَ فِتنةٌ و يكونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله فَإنِ آنتهوْا فَإنَّ الله بما يَعملونَ بَصيرٌ * وإن تولَّوْا فاعلموا أنَّ الله

مولاكُمْ نِعْمَ المولى ونِعمَ النَّصيرُ» (الانفال : ٣٨ ــ ٤٠).

انه نداءٌ عظيم، نداء الحق، نداء الكون المبني على الحق والعدل والحكمة، نداء الفطرة الانسانية الصادقة، نداء السماء للأرض يطلب من صف الكافرين التسليم المطلق أمام حركة الله في الأرض، وإلقاء السلاح والنجاة بالنفس والفوز بالعفو، وإلاّ فسنَّة الله في التاريخ تقضي بالعاقبة الوخيمة للكافرين، والانهيار الحضاري لمسيرتهم.

وفي مقطعه التالي يوجّه القرآن نداءه إلى الصف المؤمن ليستمر في جهاده وقتاله وحربه ضد الاستكبار وعملائه، مثيري الفتن، و باعثي الفساد في الأرض، وسالبي خيرات الشعوب، وممتصي دماء البشرية، معلناً أن الهدف هو محو الفتنة، أي محو كل عواملها وكل مظاهرها، محو الفتنة العقائدية، والفتنة الاقتصادية، والفتنة السياسية، والفتنة الاعلامية، والفتنة العسكرية، وكل تحرك يسوق البشرية نحو الطريق المنحرف عن خط الحاكمية الإلٰهية المطلقة، و يفتنها بحبائل الشيطان الغوي الرجيم، وحينئذٍ فإنَّ محو الفتنة لا يتم إلاّ بأن تسلِّم البشرية وجودها لله تعالى وحاكميته، وتكون الدينونة لله تعالى.

ولن يستوحش صف الحق والثورة الاسلامية في طريقه لقلة سالكيه، فإنَّ له من مدد الله وولايته أعظم القوى وأعظم نصرة، وله من فطر أبناء البشر ومن وعد الله للمؤمنين ما يشد من أزره في مسيرته الخالدة «إنَّ الّذينَ آمنوا وعملوا الصالحات سيجعلُ لهُمُ الرَّحمٰنُ وُدّاً» واننا هنا ندعو كل مخلص للتأمل في هذا التمايز العظيم الذي حصل بين صفين رئيسين:

أحدهما: الاسلام الرسمي ــ إذا صح هذا التعبير، ونعني به الاسلام الذي يرفعه هؤلاء الحكام في عالمنا الاسلامي و يروّجه وعّاظهم وذيولهم، إسلام السلطة والخنوع، وتمرير التآمر وفرض الهيمنة، وفصل

الدين عن السياسة ، واستلال روح العبادات الاسلامية ، وتقوية الاقتصاد الكافر ، والبذخ و...

والثاني : الاسلام الحقيقي الثائر ضد كل قوى (التسلط ، والمكر ، والترف) وحملة (السيف ، والمال والتزوير) ، الاسلام الداعي إلى تحكيم شريعة القرآن على كل الحياة ، والعودة إلى الموقع الحضاري الممتاز للأمة الاسلامية ، باعتبارها خير أمة ، والاستفادة في هذا السبيل من الشعائر الاسلامية وخيرها وأسماها (الحج) بما يحمله من مضمون سام رفيع .

كما اننا نعتقد في ختام الحديث ، أن عظم الجريمة وسعتها تعبّران عن عمق الجرح الذي فتحته رسالة إمام الأمة الاسلامية وقائد المستضعفين في العالم ؛ الامام الخميني (حفظه الله) إلى حجاج بيت الله الحرام هذا العام ، الجرح الذي فتحته هذه الرسالة في صدر الاستكبار العالمي فأرقته وسلبته راحته وأقلقت قواه ، وأعلمته أنّ صف الحق مصمّم على طي الطريق نحو محو الفتنة وإعلاء دين الله مهما تعاظمت المؤامرات وتجمعت قوى الخبث .

ونحن ندعو كل المسلمين ، وكل المفكرين ، وكل المخلصين ، وكل المهتمين بقضايا الأمة ومستقبلها ، وكل المتحرقين للغد الأفضل للتمعن في مقاطع هذا البيان الرائع المستمد من القرآن الكريم والسُنّة الشريفة وأحاديث المعصومين ، والقائم على أساس الايمان العميق بالله ، واليقين المطلق بانتصار الحق والبصيرة النافذة إلى أعماق الأمر . ليحاولوا استخلاص أروع المعاني بأنفسهم . والله الهادي إلى سواء السبيل .

العلاقات الدولية
في منظمة الاعلام الاسلامي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه الطاهرين .

و بعد :

فاني ما فكرت آناً أن أبحث ، وأنقب في كتب الوهابية ، لاضع فيها كتاباً خاصاً كهذا الكتاب ، وما كنت لاستطيع ، لو فكرت وأردت وحاولت .. ذلك ان الارادة ، أو المعرفة ، أو هما معاً لا يثمران كتاباً ، بل ولا مقالا ما لم يتدخل عنصر ثالث بصورة فعالة ــ أقول هذا بالنسبة اليّ ــ وهذا العنصر هو التجاوب بيني ، و بين الموضوع ، و بالاصح بيني و بين الكتابة في الموضوع .

ومتى حصل هذا التجاوب كتبت بسهولة و يسر ــ وربما كان هذا سر الانتاج السريع ، وإلا كنت كالذي يعصر الرمال والتراب .. ومادمت لا أملك من أمر هذا التجاوب كثيراً ولا قليلاً فأنا ــ إذن ــ في جميع ما كتبت ، وما سأكتب مسير لا مخير ، حتى ولو توفرت فيّ الارادة

والمعرفة ، لان النتيجة تتبع أضعف المقدمات .

وقد حصل هذا التجاوب تلقائياً بيني و بين الكتابة في هذه الموضوع بعد أن سافرت الى الحجاز ، وأديت المكتوبة واجتمعت بعلماء الوهابية ، ودار بيننا ما سجلته في فصل «مع علماء الوهابية» من هذه الصفحات .

وأول كتاب قرأته في هذا الموضوع هو كتاب «كشف الارتياب في اتباع محمد عبد الوهاب» للمرحوم السيد محسن الامين (١) وكنت طالباً في النجف الاشرف ، وقد مضى على ذلك ٣٥ عاماً ، أو تزيد .. وارتاع الوهابيون يومذاك من هذا الكتاب ، وضاقوا به ذرعاً ، لان المؤلف رضوان الله عليه ناقشهم نقاشاً علمياً ، ونازلهم بكتاب الله ، وسنة نبيه ، كما أرغمهم على تعديل موقفهم من شيعة الاحساء والقطيف بعد أن طلب أربعة عشر عالماً وهابياً من الملك عبد العزيز أن يرغم هؤلاء الشيعة على اعتناق الوهابية ، ومن أبى اخرجه من دياره ، ونفاه الى حيث يشاء الملك السعودي الوهابي .

و بعد مضي أعوام طوال على قراءتي كتاب المرحوم الامين قرأت رسالة التوحيد ، ورسالة كشف الشبهات ، ورسالة شروط الصلاة ، ورسالة هذه أربع قواعد لمحمد عبد الوهاب مؤسس مذهب الوهابية ، وفي هذه السنة ١٣٨٣ هـ . صحبت معي من مكة المكرمة كتاب مسائل الجاهلية لمحمد عبد الوهاب ، وكتاب فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد لحفيده عبد الرحمن ، وكتاب تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد لمحمد بن اسماعيل الصنعاني ، وكتاب شرح الصدور بتحريم رفع القبور لمحمد بن علي الشوكاني ، وكان الصنعاني والشوكاني معاصرين لمحمد

---

(١) أعاد نجله الفاضل الاستاذ السيد حسن طبع هذا الكتاب سنة ١٩٦٢ ، وأضاف اليه فصولاً جديدة ، وتعليقات نافعة مفيدة ، حتى بلغت صفحاته ٤٠٠ بالقطع الكبير .

عبد الوهاب ، وقد أرشدني الى هذه الكتب الشيخ سليمان بن عبيد رئيس قضاة مكة حين قلت له : سأضع كتاباً في عقيدة الوهابية ، وسألته عن أوثق مصادرهم .

وأهم ما يلفت النظر في هذه الكتب هو الحرص الشديد على تكفير أمة محمد (ص) ــ غيرهم ــ حرصاً بلغ حد الشهوة أو الانتقام ، فمبدأهم الديني والاجتماعي والسياسي هو : «أما أن تكون وهابياً ، وأما القتل لك ، والنهب لاموالك والسبي لذراريك» .

وما على من يريد التثبت من قولي هذا إلا أن يقرأ في هذه الصفحات ما نقلته عنهم ، وقد مهدت للقارىء ، و يسرت له طريق مراجعة كتب العقائد عندهم ، فذكرت اسم الكتاب ، ورقم الصفحة ، وسنة الطبع والاخراج .

ومن ألمّ بهذه الكتب الصحيحة المعتبرة الموثوقة عند كل وهابي لا يخامره الريب بأن الهدف النهائي للوهابية هو ابادة المسلمين ابادة تامة ــ غيرهم ــ أو ابادة من يستطيعون ابادتهم ، كمسلمي المملكة العربية السعودية من غير فرق بين السنة والشيعة ، وانه لا يروي عطشهم إلا هذه السياسة الجهنمية .. وما أوقفهم عن محاولة تنفيذ هذه السياسة إلا قوة المسلمين ، ونقمة الرأي العام في الشرق والغرب ، وقيام الثورات ضد الظلم والتحكم هنا وهناك ، وايمان الناس ، كل الناس إلا الوهابية بالحرية في ممارسة الدين والتعبير عنه بكل أسلوب يريده المتدين .

ومن أجل هذه البواعث ، وهذا الوعي الذي يقضي على كل من يتخطاه ويتجاهله ،مال الوهابيون الى معاملة الحجاج باللين سنة فسنة ، بعد تلك القسوة والجفوة ، والى الغاء الرق شيئاً فشيئاً .. لقد تأكدوا ــ ولله الحمد ــ ان الرق قد ذهب أوانه ، وان الظروف لا تساعد على التعصب والتحكم ، ونحن نبارك هذه الخطوة ، ونعتبرها مهمة جداً في

الاوساط الوهابية ، سواء أتخطوها عن طواعية ، أم عن كراهية ، ونسأل الله سبحانه أن تتبعها خطوات الى الامام ، حتى تعود الحرية الى سابق عهدها في الحرمين الشريفين ، وفي كل شبر يحكمه الوهابيون .

ومهما يكن ، فاني تكلمت عن عقيدة الوهابية بما هي ، وكما جاءت في مصادرها ، بصرف النظر عن سياسة الوهابيين ، ومعاملتهم مع الحجاج والزائرين .. أما الاسلوب الذي اعتمدته للرد على هذه العقيدة وتفنيدها فهو نقض أقوالهم والزامهم بالمحاذير والمفاسد التي تترتب عليها .. وكنت أبحث وأنقب عن أقوالهم ، وأقارن بعضها ببعض ، حتى اذا رأيتها متضاربة متناقضة أعلنت هذا التهافت ، والزمتهم به ، لقد حرصت كل الحرص على أن تكون ملاحظاتي ، وردودي أشبه بشباك حيكت من أقوالهم وآرائهم بالذات ، لا خيط فيها إلا منهم ولهم .. ولم أهتم كثيراً بذكر الآيات والروايات ، لانها تكررت في أكثر من تصنيف من الردود على الوهابية .

اشارة :

منعت الحكومة السعودية من أراضيها كل كتاب يحمل اسمي ، لا لشيء إلا لاني أقف لمن كاد و يكيد للاسلام والمسلمين ، ويحقد على الرسول وأهل بيته (ص) و يسعى جهده لبث السموم والاوباء في كل بلد توجد فيه رائحة البترول ، أو مجاور لبئره ومصبه وممره ، ليضمن لاسياده الامن والامان ، وهم يمتصون دماء العرب والمسلمين .. كالجبهان والحفناوي ومحب الدين الخطيب ، ومن اليهم ، منعت الحكومة السعودية مؤلفاتي ، ولا اشارة فيها لعقيدة الوهابية من قريب أو بعيد ، فبالاحرى أن تمنع كتابي هذا ، وتحرقه لو استطاعت .. ولا أشك انها ستستأجر أعداء الفضيلة والعدل ، وأنصار الرذيلة والظلم للسب

والشتم .

ومهما فعلت ، وحاولت أن تفعل فان اليوم الذي ستشرق فيه شمس الحرية على أرض الحرمين الشريفين آت لا محالة ، تماماً كما أشرقت على غيرهما ، وان عهد مصادرة الكتب سيزول ، كما زالت محاكم التفتيش التي كانت تحرق العلماء وكتبهم العلمية .

ولا أدري بأي شيء أفسر منع مؤلفاتي من السعودية ، وكثير غيرها من كتب الهداية والرشاد ، وافساح المجال لكتب الخلاعة والفساد التي تشجع الفحش والفجور ، وتنشر الفسق والدعارة وتسير بالنشء الى الحضيض ؟ ..

زرت مكتبات مكة التجارية ، ولم تفتني واحدة منها ــ فيما أعتقد ــ وقلبتها أو قلبت أكثرها ظهراً لبطن ، كعادتي مع مكتبات لبنان ، فلم أرَ كتاباً للشيعة يباع علانية إلا مجمع البيان ، ومكارم الاخلاق للطبرسي «طبع مصر» .. ورأيت روايات الجنس العاري ، حتى من «المايو» تغطي الواجهات ، وتحتل الصدور من المكتبات التي تحيط بالكعبة الطاهرة المطهرة ، و بخاصة المكتبات المقابلة للمسعى وجهاً لوجه .

ولاجابة الوهابيين بهذه الحقيقة في الساعة الراهنة كتبت أسماء الكثير منها .. وهذا بعضها : نساء الليل .. شهر العسل .. امرأة من باريس .. الشريرة .. الخ ، مع العلم بأني لا أعرف المحتوى والمضمون .. ولكني رأيت على الغلاف صوراً لرجال يفترشون العاريات المثيرات ، مع العناق والقبلات .. فما يخرج المحرم الطائف العاكف من الكعبة المشرفة المعظمة ، حتى تواجهه هذه المنكرات ، وصور الفاحشات ، والتي سمحت بها جماعة الامر بالمعروف لانها لا تنافي الدين والآداب .. أما اللمس والتمسح بقبر النبي (ص) فشرك وإلحاد .

هذا هو منطق الوهابيين ، وهذي هي سيرتهم .. يطلقون الحرية للافاعي تنفث السموم ، حتى عند أبواب الكعبة ، و يسدون نوافذ النور والهداية عن المسترشدين والتائهين .. ومن يدري ؟ .. لعلهم أفسحوا المجال لهذه الروايات والخلاعات ليثبتوا ان المملكة العربية السعودية قد سبقت الشرق والغرب في مضمار التقدم والحضارة ؟ ..

و بالمناسبة ــ ولابأس أن أطيل عليك أيها القارىء على خلاف عادتي لان تناقضات الوهابيين كالتسلسل لا آخر له ــ أقول بهذه المناسبة : اني دخلت ذات مساء الى مكتبة بمكة المكرمة ، فرأيت كتاب «معاوية بن أبي سفيان» لعمر أبو النصر يعرض فيها علناً ، وما أن شرعت في الحفر والتنقيب عما أبتغيه من الكتب ، تماماً كما يحفر و ينقب الغرب عن الذهب الاسود في السعودية ، حتى وقع بصري على كتاب «الامام علي» للاستاذ جورج جرداق ، وكان صاحب المكتبة قد واراه عن الانظار ..

وأردت أن أعرف مدى خوفه لو اكتشف الوهابيون جريمته هذه ، فأخذت الكتاب بيدي ــ وهو لا يعرف من أنا ــ وقلت له مستنكراً : كيف تعرض هذا للبيع ؟ .. ألا تعلم انه ممنوع ؟ .. وأشعرته بأسلوب خفي اني سأشي به الى الشرطة .. فنظر إليّ بذهول ، وقال : «إيه إيه مالوعلي مالوعلي ؟» . قلت : مالوعلي . ممنوع علي ، ممنوع علي .. قال : «أيه بطال علي ؟ بطال ؟» ..

سلام الله عليك ياعلي .. وأقسم بمن عظمك وكرمك انك لو أحببت الباطل لكان كل كتاب يحمل اسمك العظيم يباع في المملكة السعودية علانية وجهراً ، لا خيفة وسراً ، و بدون أن يخاف البائع والمشتري ، تماماً كما يباع كتاب معاوية ابن آكلة الاكباد .

وأسأل الله سبحانه أن يعصمنا من النصب والمغالاة، وأن يزيدنا

ايمـانـاً بـه و بـجلاله ، وولاءً بالنبي وآله ، عليه وعليهم أزكي التحيات ، وأفضل الصلوات .

من وحي الحج

الحمل الثقيل :

كنت أحس ان على ظهري حملاً ثقيلاً طوال السنوات الماضية التي استطعت فيها مادياً، لإداء فريضة الحج ، لا أدري متى اتخفف منه ، والحج ــ كما كنت أتصوره ــ عبء شاق يحتاج الى مبلغ من المال غير يسير، لا تطيب النفس عنه بسهولة .

كما انه يستتبع الا تعاب والاوصاب لزحمة الناس ، في بلد واحد ، ومكان واحد ، وزمان واحد ، و يستنفد جهداً كبيراً قد لا تجود النفس ببذله ، وتحمله ، فوق ذلك كله الخوف من الاخطاء والرياء ، وأن يرد عليّ عملي ، ولا يكون حجي مشكوراً ، ولا مدخوراً ليوم الحساب .

هذا ما كنت أحسه ، وأشعر به ، وهو السبب الاول للتأخير والتقصير، أما اعتذاري وتعللي بأن حكام السعودية يمنعوني من الحج ، أو يسيئون اليّ في ديارهم ، لما كتبته عنهم في الصحف ، وفي بعض مؤلفاتي بعد قضية الجبهان ، أما هذا التعليل فقد تبين انه وهم لا أساس له .. وربما كان منشؤه الكسل والاهمال .

ومهما يكن ، فقد شعرت بالرغبة الجدية في الحج هذا العام ــ ١٣٨٣ هـ ــ والعزم الاكيد على إدائه مهما كانت العواقب ، حتى ولو نصبت لي الاعواد على الحدود ، وخسرت ما أملك من صحة ومال ، أما سر هذه الرغبة ، وهذا العزم فعلمه عند ربي ، ومهما يكن ، فانه ليس من ارادتي واختياري في شيء ، لان الارادة لا تعلل بالارادة .

الى البيت العتيق :

أقلعت الطائرة من مطار بيروت الساعة السابعة من مساء ١٠ ــ ٤ ــ ٦٤ الموافق ٢٦ ذي القعدة سنة ٨٣ هـ ، ووصلت جدة حوالي التاسعة ، وبت في فندق النهضة ، وخرجت من جدة مساء اليوم التالي محرماً بالنذر ، قاصداً مكة المكرمة ، ثم جددت الاحرام في الحديبية(١) وبلغت مكة قبيل الغروب ، وبينها وبين جدة ٧٤ كيلومتراً ، وكان اليوم يوم الخميس ، وما اقتربت منها ، حتى ذهلت عن نفسي ، وحاضري ومستقبلي ، وغمرني الشعور بالغبطة ، لما وفق الله من تأدية ما فرضه في كتابه ، وتسديد ما عليّ من حسابه ، وانطلق لساني بالحمد والشكر على السكينة والتخفيف من ذاك الحمل والتكليف .. وقد تتهيأ الصحة لشخص ، و يعوزه المال ، وقد يوجد المال ، وتعترضه مشكلة الصحة ، وقد يوجدان معاً ، و يعوقه الكسل والاهمال ، أما من توافرت له هذه جميعاً فيحق له أن يفرح و يغتبط ، وعليه أن يحمد و يشكر ، وكل شيء كان لدي موفوراً وميسوراً : الصحة والمال والاقبال ، فله الشكر والحمد .

---

(١) الحديبية المكان الذي صدت فيه قريش الرسول الاعظم (ص) عن دخول مكة المكرمة للعبادة ، وتم الصلح بينه و بينهم ، وسمي هذا الصلح باسم المكان .

شعاب مكة :

وأول شيء سبق الى ذهني ، وأنا ألقي النظرة الاولى على مكة المكرمة هو القول المشهور: «أهل مكة أدرى بشعابها» . فأخذت أنظر يمنة و يسرة ، أتبين هذه الشعاب ، فرأيت بيوتاً متراكمة متراصة في أرض منخفضة تشرف عليها ، وتحيط بها جبال وتلال احاطة السوار بالمعصم ، وعلى هذه الجبال بيوت متواضعة ، كما تبدو للناظر ، وفي اليوم التالي طلبت من سائق التاكسي أن يذهب بي اليها ، فقال : لا تصلها السيارات ، وأصحاب البيوت فيها كلهم من الفقراء ، لا يستطيعون أن يبنوا في الاحياء المنخفضة التي تحيط بالحرم الشريف .

معنى العبادة :

دخلت البلد الأمين قبيل الغروب ، و بعده قصدت البيت العتيق ، والمسجد الحرام ، وكعبة المسلمين وقبلتهم ، فرأيت الالوف بملابس الاحرام ، مكشوفي الرؤوس ، يطوفون و يصلون ، و يرددون في تطوافهم : «ياكريم ياغفار» منصرفين الى الله وحده ، حتى عن أنفسهم وذو يهم ، متجهين اليه سبحانه بنفوس نقية ، وعاطفة تقية ، وقلوب معبأة مهيأة الى فضل الله ورضوانه .

وفجأة ، ودون أية سابقة ، انتابتني رعشة هزتني من الاعماق تجلى تأثيرها ووقعها في بكائي وتضرعي ، وانقطاعي اليه سبحانه ، وشعرت كأني أمام الله وجهاً لوجه ، واني في عالم كله نور وروح ، وهذا هو معنى العبادة بروحها وجوهرها ، انها أولاً وقبل كل شيء اليقين بالله ، والاخلاص فيما ترجوه منه ، والصدق في تضرعك له .

وقال قائل : ان العبادة ركوع وسجود ، وسعي وطواف وكفى ..

وذهب آخر الى انها تفكير فلسفي . وزعم ثالث انها رياضة ومكاشفة ، والحق انها قلب متطلع الى رحمة الله ، واثق بمغفرة الله .. وكل حاج يحمل هذا القلب المتطلع الواثق فيما أعتقد ــ إلا من اتخاذ الحج وسيلة للعوائد والفوائد العاجلة . وان شككت في شيء فلن أشك بأن الله يقبل الجميع مادام هو القصد والغاية ، حتى الجاهل الذي لا يعرف مكان الدقة في الطواف ، ولا يحسن انتقاء «الخرش البرش» من حصى الرمي ..

سمعت إمرأة تقول ، وهي تشير الى الكعبة : رحمتك يارب للناس كلهم .. أي وحقه انه يرحم الناس ، كل الناس الذين يقفون على بابه يرجون فضله وإحسانه .

مع الطائفين والعاكفين :

مكثت بمكة ١٩ يوماً ، وكنت أذهب مساء كل يوم الى الحرم ، ما عدا اليوم التاسع من ذي الحجة ، فاذا رأيت جماعة مقبلين على البيت للطواف خلطت بهم نفسي ، وفعلت ما يفعلون ، ورددت ما يقولون ، وكنت أتقصد الاختلاط بالافريقيين السود ، لما لمسته فيهم من الصفاء والاخلاص وأحسسته معهم من التوجه والانقطاع . وقد طفت مرات ، ولكن لم تهتز مشاعري للدرجة التي كانت تهتز ، وأنا أطوف مع هؤلاء السود .

وذات مساء رأيت حزمة من اليمنيين قد تلاصقوا ، وأخذ بعضهم بعضد بعض ، واندفعوا كالسيل لا يلوون على شيء ، فوضعت يدي بعنق الاخير منهم ، فلم يلتفت اليّ ، وأخذت أطوف معهم ، وأركض وأقفز . كما يركضون و يقفزون ، وأردد معهم : «حج حج ياحاج حج» .

وقصدت المسعى في ذات اليوم ، فحسبت ان جبالاً من البشرية تسير ذاهبة آيبة بين الصفا والمروة ، وان الارض ترتفع بهم الى السماء ، الى

جنة المأوى ، وان ملائكة الرحمة تتلقاهم بالبشر والترحاب تناديهم ان تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون .

الحجيج والضجيج :

أما ما نسب الى الامام زين العابدين (ع) من انه قال : ما أكثر الضجيج ، وأقل الحجيج ، ما حج إلا أنا وناقتي ، ورجل من البصرة ، فانه محل النظر والتأمل .

أولاً : انه لا يتفق مع دعائه في يوم عرفة ، الذي جاء فيه : «اللهم وهذا يوم شرفته وكرمته وعظمته ، نشرت فيه رحمتك ، ومننت فيه بعفوك ، وأجزلت فيه عطيتك ، وتفضلت به على عبادك» .

و بديهة ان معنى انتشار الرحمة شمولها للجميع لا للرجل والناقة فقط لا غير. وقال أيضاً : «يامن عفوه أكثر من نقمته ، و يامن رضاه أوفر من سخطه ، و يامن تحمد الى خلقه بحسن التجاوز» .

ثانياً : أي فرق بين هذا القول ما حج الخ ، و بين قول الاعرابي : اللهم ارحمني ، وارحم محمداً ، ولا ترحم أحداً معنا» ..

ومعلوم ان النبي (ص) أنكر عليه ، وقال : ياهذا ضيقت واسعاً .

ثالثاً : فهمنا حج الانسان ، أما حج الناقة فلم ندرك له معنى ، وان كان المراد ان ناقة الامام حملت حاجاً ، فان ناقة البصري كذلك ، اللهم إلا أن يكون البصري حج ماشياً .

وعلى أية حال ، فان معنى الحديث ، ان صح ، ان الامام والبصري ينالان ثواب الحج بالاستحقاق ، أما غيرهما فبالفضل (١) . ومهما يكن ،

---

(١) اتفق علماء الكلام على ان العاصي يعاقب بالاستحقاق ، واختلفوا : هل يثاب الطائع استحقاقاً أو تفضلاً ؟ .

فان النتيجة واحدة ، وهي شمول الرحمة للجميع ، ولكن يبقى اشكال حج الناقة قائماً .

صور عن الحج :

شاهدت في الحج صوراً تركت في نفسي أعمق الا ثر ، ولا أ شك ان ما فاتني منها أكثر وأبلغ في شكلها وموضوعها .. شاهدت رجلاً طاعناً في السن ، يهتز من قرنه الى قدمه ، واللعاب يسيل من فمه ، والمخاط يتقاطر من أنفه ، يقوده شاب ، لم يبلغ الثلا ثين،أو لم يتجاوزها ،يطوف به حول البيت ، و يسعى بين الصفا والمروة ، ويخدمه باخلاص ، و يبذل الجهد لمرضاته وراحته . قلت للشاب : من أين ؟ قال : من العراق . قلت : وهذا من يكون ؟ . قال : أبي . قلت : وفقك الله . قال : الحمد لله الذي وفقني لإداء حقه ، وأسعدني بخدمته .

وشاهدت آخر يحمل والدته على منكبيه ، وقد تدلت رجلاها على صدره ، وهو ممسك بيديها ، يطوف بها ، و يسعى ، وقد تبعته في الطواف والمسعى ، وكنت أتصور ، وأنا أنظر اليه ، انه يرى نفسه أسعد من كان و يكون في هذه اللحظات لانه ضمن له مكاناً عظيماً في جنة الخلد بعد أن أدى للامومة حقها ، ووفى لها بعهدها ، كما تصورت شعورها بالغبطة بهذا الولد البار الذي حقق لها أعز الاماني والاحلام .

شاهدت هاتين الصورتين ، فتذكرت من يتخذ من عطف الاب والام وسيلة للتنمر عليهما ، ومجابهتهما بالاساءة والعقوق .

وفي مساء ١٢ ذي الحجة شاهدت في زاو ية من زوايا البيت مجموعة من المصريين نساءً ورجالاً يصفقون بهدوء و يرددون الأناشيد بمدح الرسول وآله (ص) ، وهم فرحون مستبشرين كأنهم في عرس ، والى جانبهم رجل يصلي ، وآخر يتلو القرآن ، وثالث يتضرع و يبكي ، فقلت

بكى هذا خوفاً من عقاب الله ، وغنى هؤلاء وصفقوا أملاً بثواب الله ، والكل سواء في رحمته ، ما دامت قلوب الجميع عامرة بالتدين والايمان بجلاله وعظمته ، وصلى الله على محمد وآله الذي قال : ان الطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق .

الحج وأتعابه :

قال الفقهاء : ان التكليف مشتق من الكلفة ، وهي المشقة ، إذن كل تكليف يستتبع نوعاً من الا تعاب ، وأشدها هي أتعاب الحج ، اللهم إلا الصوم ، و بخاصة على من اعتاد التدخين وشرب الشاي .

وقد شعرت بالاعياء والعناء في عرفة والمشعر ومنى ، ولكن أتعاب الحج أشبه بالآلام الشديدة التي تعانيها الام حين الوضع ، فسرعان ما تستحيل الى لذة وسرور بعد أن ترى وليدها سالماً ، بل هذه الآلام بداية حبها له ، وتعلقها به .. وهكذا الحاج ينسى جميع أتعابه وأوصابه ، و يشعر بالغبطة والسعادة بعد أن يؤدي المناسك على وجهها و يشكر الله سبحانه لما هداه وأعانه على تأدية ما فرضه من طاعته ، وأوجبه من عبادته (١) .

---

(١) كانت ليلتنا في المشعر الحرام ليلة البرد والزمهرير في صحراء جرداء ، لا مأوى فيها : ولم يكن معي غطاء ولا وطاء ، وأنا مكشوف الرأس ، وعلى جسمي ملابس الاحرام ، ينفذ الريح خلالها بسهولة و يسر ، فأصابني رشح قوي لازمني مدة عشرين يوماً .

فصل الخصومات

الاتفاق على المعيار:

اذا آمنت بفكرة ، وانها صواب مئة بالمئة ، وعارضك معارض ، وقال : بل هي خطأ مئة بالمئة ، أو وقف منها موقف المشكك المتردد ، فماذا تصنع ؟ . هل تصر على رأيك بدون حجة ودليل ، و يصر هو على قوله كذلك ؟ . إذن ، يبقى النزاع قائماً ، والمشكلة بدون حل ، مادام كل منكما يفقد قوة الاقناع ، ولا ينحسم النزاع إلا بعد أن تتفقا على مبدأ ترجعان اليه يكون هو الحجة ، والحَكم الفصل .

ــ مثلاً ــ اذا قلت : ان علاج المصاب بذات الرئة هو الفصد ، وقال آخر : ان الفصد يضر بصحته ، و يعجل بوفاته ، كان الحكم بينكما الطبيب المختص بهذا الداء ، ومحال أن يقتنع أحدكما بقول الآخر ، أو تلزمه الحجة اذا لم تتفقا مسبقاً على وجود المعيار والمقياس الذي يميز الصواب من الخطأ ، والحق من الباطل .

الأديان والأحزاب :

وهذا الذي قلناه عن الاختلاف بين الافراد ينطبق على الاديان والاحزاب التي يختلف بعضها عن بعض ، و يدعي أرباب كلٍ منها انهم على حق دون غيرهم ، ولكن الجميع ، حتى من لا يدين بدين ، ولا ينتمي الى حزب متفقون على ان كل ما فيه صلاح البشرية وتقدمها فهو خير ، ومتفقون أيضاً على ان السلم والعدل والحرية والعلم والتعاون هي الوسائل الى هذا الصلاح والتقدم ، وعليه ، فكل دين أو حزب يدعو للسلم والتعاون ، و يناصر العلم والعدل ، و يضمن الحرية والمساواة فهو خير وأفضل من أي حزب ، أو دين يثير الحروب و بث البغضاء ، و يناهض العلم والتقدم ، و يدعم الجهل والظلم .

ونقول : ان كل دين ، وكل حزب يزعم أهله انه يدعو للصالحات والخيرات .

الجـــواب :

ان الدعوى بمفردها لا تقنع أحداً ، فاذا سقط شخص في الانتخابات ، ثم قال : نجحت فيها ، فهل يصدق ، أو يكون قوله هذا مدعاة للسخرية والاستهزاء ؟ .. ولا أعرف أحداً أجهل ممن يردد مع القائل : «كل يعزز دينه ياليت شعري ما الصحيح ؟ .» ان الناس كل الناس متفقون على ان الحب أفضل من البغضاء ، والتعاون أنفع من التنافس ، والسلم خير من الحرب ، والعلم أفضل من الجهل .. و بديهة ان العالم يدرس الاديان والاحزاب ، و يطلع على مبادئها وتعاليمها ، ثم يقيسها بتلك المبادىء المتفق عليها ، ويحكم بما تستدعيه من الحق أو الباطل ، والهداية والضلال .. ولو صدق في الاديان قول من قال :

«ياليت شعري ما الصحيح ؟» لصدق في كل دعوى دينية كانت أو زمنية .. ان العالم كما قلت : يبحث ويحقق ، تماماً كما يفعل كل من يطلب معرفة الحق من معدنه ، وإلا وجب أن لا نبحث عن شيء ، وان نقفل المعاهد والمختبرات والجامعات ، ونكتفي بترديد «ياليت شعري ما الصحيح ؟ .» . و بالتالي ، فإن دل هذا القول على شيء فانما يدل على ان قائله أعدى أعداء الاديان ، حتى ما كان منهاحقاً وصدقاً .

الرد الى الله والرسول :

اتفق المسلمون جميعاً على ان أي نزاع يقع بين الفئات أو الافراد فعليهم أن يتحاكموا فيه الى كتاب الله وسنة نبيه ، لان المفروض ان النزاع حصل فيما قال الله والرسول (ص) وقد أمر الله بالرد اليه والى رسوله في مثل هذه الحال : «فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول» (النساء ــ ٥٩) .

ولكن كثيراً ما يحصل النزاع في تفسير آية تحتمل معنيين ، أو أكثر ، أو في صحة حديث ، أو فيما يفهم منه .. ومن أمثلة الاول قوله تعالى في سورة الطلاق : «واشهدوا ذوي عدل منكم» . حيث فهم الشيعة من الآية الكريمة وجوب الاشهاد على الطلاق ، وفهم السنة وجوبه على الزواج لا على الطلاق(١) . وقوله تعالى «ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليه الخبائث ــ الاعراف ١٥٧» .

حيث اتفق الجميع على ان الخبائث محرمة ، واختلفوا في بعض

---

(١) قال الشيخ أبو زهرة في كتاب الاحوال الشخصية : لو كان لنا أن نختار للمعمول به في مصر لاخترنا رأي الشيعة ، وصوبه أستاذه الشيخ الخفيف . ومال اليه الدكتور محمد موسى في كتابه الاحوال الشخصية .

الافراد والمصاديق ، كأكل الدود والذباب والفأر والضفدع والسرطان ، فقال مالك : يحل أكلها ، لانها ليست من الخبائث ، وقالت بقية المذاهب : يحرم أكلها ، لانها من الخبائث .

ومن أمثلة الثاني اختلافهم فيما نسب الى الرسول ، وهو: «من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته» فقد ضعفه السيوطي والعقيلي وابن حجر وغيرهم،(اللاليء المصنوعة للسيوطي ج ٢ ص ١١١) ..

واتفق السنة والشيعة على ان النبي قال : «من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه» ولكنهم اختلفوا في المراد من الولاية ، فذهب السنة الى ان المراد منها الحب والمودة ، وقال الشيعة : بل الحكم والسلطان بقرينة السياق .

ما هو الحل ؟

وهذا النوع كثير ، وهو من أهم الاسباب لاختلاف المذاهب الاسلامية بين بعضها البعض ، و بين علماء المذهب الواحد ، ورغم ان هذا الخلاف يرجع في حقيقته ومعناه الى الخلاف في ان الكتاب والسنة : هل تعرضا الى هذه القضية المتنازع فيها ، أو لا ؟ . ومع هذا النزاع لا يمكن الرجوع الى أحدهما كما يبدو ، ولعدم الا تفاق على وجود نص قطعي لا مجال فيه للاجتهاد يفصل بين الطرفين ، رغم ذلك كله فان المرجع في هذا الخلاف هو الرسول الاعظم ، حيث اتفق الجميع على انه قال : «اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، واذا اجتهد فأخطأ فله أجر» . (الصحاح الستة : البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة) . فكل عالم بحث وتحرى ، وأدى به البحث الى العلم بشيء تحتم عليه العمل بعلمه ، مصيباً كان أو مخطئاً ، مادام غافلاً

عن خطئه ، وليس لاحد أن ينهاه عن اتباع العلم ، كيف ، ومتى حصل له العلم بشيء لا يسعه إلا اتباع علمه ، ومن خالفه فهو مذموم في الشرع والعقل .

أجل ، لك أن تحاول اقناعه بالدليل والمنطق ، فان ظهر له الخطأ ، وأيقن به ، ومع ذلك أصر عليه كان معانداً للحق ، مخالفاً له عن عمد ، واستحق الذم والعقاب ، كما هو شأن الذين عاندوا نبوة محمد (ص) بعد ما ظهرت جلية كالشمس : «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ــ النمل ١٤» .

و بكلمة ان كل من قامت عليه من الله الحجة القطعية المجمع عليها فليس له أن يخالفها ، ويجتهد ضدها ، لان اجتهاده ، والحال هذه يكون رداً على الله ورسوله ، ولا تقوم به الحجة إلا اذا كانت كوضح النهار ، بحيث لا يسوغ الاعتذار معها بالجهل ، مادام طريق العلم بها ميسراً وواضحاً ، لا غموض فيه ، ولا التباس ، واذا لم تبلغ هذه المرتبة من الوضوح وكان للاجتهاد فيها مجال يكون معذوراً لو خالف الواقع ، على شريطة أن يعقد العزم على انه اذا استبان الخطأ رجع عنه .. والعقل هو الحاكم بنفي المسؤولية عن المخطىء غير المقصور ، والشرع يقر العقل في حكمه هذا من باب الارشاد الى الواقع ، لا من باب الرفق والتسامح ، لان سير الانسان بموجب فهمه شيء طبيعي ، لا يستطيع التخلص منه ، بل هو مصدر الحركة والحياة .

ومن هنا رأينا سيرة العقلاء في كل عصر ومصر على نفي المسؤولية عن المخطىء اذا حقق ودقق ، سواء أكان فقيهاً ، أم طبيباً ، أم مهندساً ، أم بناءً ، وما اليه ، لان الانسان ، أي انسان يعمل بما يعتقد انه الحق ، لا بما هو حق في علم الله .. وكذلك اتفقت جميع الشرائع السماوية والوضعية على ان مجرد المخالفة في الرأي لا تستتبع العقوبة

والمسؤولية . والاختلاف في الرأي ملازم لطبائع البشر، وكثيراً ما يكون سبباً للتصفية والتمحيص ، وتمييز الاصيل من الدخيل ، العارف من الزائف ، ولكن هذه المخالفة تتسم بجريمة البدعة والضلالة عند الوهابية حتى ولو كان من خالفهم أعلم العلماء ، وأبر الاتقياء ، لا لشيء إلا لانه لم يترك ما يعتقد ، و يتبع ما هم عليه ، وان اعتقد فساده وضلاله .

قال ابن تيمية في كتاب «نقض المنطق» ص ٧١ طبعة ١٩٥١ ، وهو امام الوهابيين ، والمعتمد الاول لمذهبهم ، قال ما نصه بالحرف : «فانهم ــ أي هو ومن قال بمقالته ــ أشد الناس نظراً وقياساً ورأياً ، وأصدق الناس رؤياً وكشفاً ، أفلا يعلم من له أدنى عقل ودين أن هؤلاء أحق بالصدق والعلم والايمان والتحقيق ممن يخالفهم ، وان الذي عندهم هو الحق المبين ، وان الجاهل بأمرهم والمخالف لهم هو الذي معه من الحشو ما معه ، ومن الضلال كذلك» .

فالذي عندهم علم وايمان وصدق وحق مبين ، أما الذي عند غيرهم فجهل وكفر وكذب و بدعة وضلالة ، ذلك ان ابن تيمية وقبيله معصومون من الخطأ دون غيرهم رغم انه هو لا يؤمن بعصمة انسان .. وسأستشهد من كتبهم المعتبرة بكلام أدل وأوضح .

مع علماء الوهابية

اغتنمت فرصة وجودي بمكة والمدينة ، لإداء فريضة الحج ، وزيارة الرسول الاعظم (ص) ، واجتمعت بمن تسنى لي الاجتماع به من علماء الوهابية ، ودار بيني و بينهم حوار ونقاش حول مفهوم الاسلام ، وحقيقة الشرك ، وحول التقارب بين المذاهب الاسلامية ، ووضع خطة لوحدة المسلمين ، وجمع كلمتهم ، على أن تطبق هذه الخطة بالتسامح ، ونبذ التعصب ، وعدم تكفير طائفة لطائفة أخرى ، وأن يكون الجامع المشترك هو كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» .

فرأيت من بعضهم التشدد ، والعزم على سد أية نافذة يهب منها نسيم التقريب والإخاء ، ومن البعض الآخر التواضع والتسامح في كل الخلافات إلا الخلاف في تعمير القبور ورفع القباب عليها ، فان تبريره شرك عند الجميع بدون استثناء .. لمست هذا من أحاديثهم ، وفي كتبهم ، وتملكني اليأس ، حتى ولو بُذلت الجهود ، وتعبأت جميع القوى .. ان مسألة التعمير عندهم ليست حقاً لاحد من المسلمين أو غير

المسلمين ، حتى يطالبهم به ، لانه شرك وكفر والحاد ، وهذا هو الشيء الذي يجب أن يناقشوا فيه على أسسهم ومبادئهم .. وقد عقدنا فصلاً خاصاً بذلك .

المحاكم الشرعية :

كل محكمة في السعودية هي محكمة شرعية ، وكل قاضٍ هو شرعي ، لانهم لا يحكمون بالقوانين الوضعية ، بل بالشريعة الاسلامية على مذهب الامام ابن حنبل ، وفي مكة المكرمة بناية مؤلفة من ثلاثة أدوار خاصة بالقضاة ، وعددهم سبعة ، وعليهم رئيس ، تُقدم اليه جميع الدعاوي ، مهما كان نوعها ، وهو يحيلها بدوره الى واحد منهم ، و ينظر هو في دعاوي الزواج والطلاق القهري ، كما يميز اليه الحكم البدائي ، اذا لم يرض به المحكوم عليه ، فيصدقه ، أو يفسخه ، وتسمى البناية التي تضم جميع القضاة المحكمة الشرعية الكبرى .

ذهبت الى هذه المحكمة بدون دليل أو رفيق ، وتنقلت من قاضٍ لآخر ، واستمعت الى محاكمتين عند قاضيين ، أحداهما بين امرأتين متجاورتين ، قد تنازعتا على حد بينهما ، والثانية بين رجل وزوجته ، وما سألني أحد عن شيء ، ولم يثر وجودي انتباه أحد ، ثم دخلت الى غرفة قاضٍ ثالث ، فرأيته جالساً خلف طاولته ، وفي يده جريدة يقرأها . فقلت له : هل تجيبني على ما لديّ من أسئلة ؟ . قال : سل الرئيس الشيخ سليمان بن عبيد . قلت : وأين هو؟ . قال : في الدور العلوي .

صعدت الى هذا الدور ، فرأيت غرفة واسعة مفروشة بالسجاد الايراني ، وعدد من المقاعد ، وفيها كتبة ، وجماعة من أصحاب العلاقة ، وفي صدر الغرفة يجلس رجل على كرسي ، وأمامه طاولة ، وهو متقدم في

السن ، والى جانبه كرسي ثان ، و يلبس كوفية حمراء ، وثوباً أبيض ، فسألت عنه ؟ فقيل : هذا هو الرئيس . سلمت ، وجلست الى جنبه خلف الطاولة ، وكان يختم أوراقاً مكتوبة بختمه دون أن يوقعها بأمضائه .

و بعد أن انتهى التفت اليّ ، وقبل أن يسألني قلت له : أنا حاج من لبنان ، وقد سمعت انكم بعد ان تستمعوا الى المتخاصمين تنهالون بالضرب على المبطل . قال : وماذا رأيت ؟ . قلت : لا شيء من هذا . ثم أطلعني على الاستدعاءات والسجلات والدفاتر ، فرأيت فيها الدقة والتنظيم .

فقلت له : ولكن المعروف انكم تكفرون غيركم من أهل المذاهب الاسلامي ، بخاصة الشيعة ، وتزعمون انهم يغالبون في حب الامام علي ، وأخبرك بأني شيعي جعفري ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله الذي قال : ياعلي لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق ، وأوالي علياً الذي قال : هلك في اثنان : مبغض قال ، ومحب غال . أواليه لانه من الذين عناهم الله جل شأنه بقوله : «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودةفي القربى» . ولانه بطل معارك الاسلام في جميع المواقف التي وقفها الرسول ضد الشرك ، وأعداء الدين .

قال : ولكن لابد من البعد عن الشرك .

قلت : هنا يكمن السر .. انكم ترون المسلمين مشركين ، وكيف يجتمع الشرك مع قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ؟ وهل من الشرك أن أعتقد ان الصلاة في مسجد الرسول (ص) أعظم من الصلاة في بيتي ؟ .. وقبل أن أنهي كلامي قال : نعم قال رسول الله (ص) : الصلاة في مسجدي بألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام ، فان الصلاة فيه بألف صلاة في مسجدي .

قلت له : سبقتني .. إذن ، أين الشرك ؟

قال : الشرك أن يعتقد المصلي بأن الفضل جاء من أجل صاحب القبر.

قلت أولاً : ان هذا الاعتقاد ليس بشرك ، لان معنى الشرك أن يدعو المشرك مع الله إلٰهاً آخر ، وهذا شيء ، والاعتقاد بأن هذه البقعة اكتسبت شرفاً ممن دفن فيها شيء آخر.

ثانياً : أي فضل للارض من حيث القداسة لولا صاحب القبر ، ان أجزاء الارض بكاملها سواء من هذه الجبهة ، ولا فضل لبقعة على أخرى إلا بمن حل فيها .. لذا قيل : المكان بالمكين ، وكل انسان يقدس بفطرته التربة التي تضم رفاة العظماء والصلحاء ، والآباء والاجداد .

قال : بارك الله فيك ، ياليت كل الشيعة مثلك .

قلت : ومن تعرف من الشيعة ؟ . وماذا قرأت لهم ؟ . اقرأوا كتبهم ، وافهموهم جيداً ، ثم احكموا عليهم بما تستوحون ، وتفهمون ، وليس من شأن العالم أن يلقي القول جزافاً ، هذا ، الى ان قوة الاسلام والمسلمين تقوم على أساس التسامح والتقارب ، والمحبة والاخاء ، لا على الشحناء والبغضاء ، ونحن لا نناوىء أحداً ، ولا نريد أن يناوئنا أحد .. فهز رأسه علامة القبول والاستحسان .

وقلت له : ما الشرط لتعيين القاضي عندكم ؟

قال : أن يحمل شهادة من كلية الشريعة بمكة ، أو الرياض ، أو من الازهر ، وأن تثبت كفاءته بعد أن يتمرن سنتين عند أحد القضاة .

قلت : وما تحمل أنت من الشهادات .

فابتسم ، وقال : لا شيء ، اني درست على الشيوخ عندنا . قلت : سأضع كتاباً في عقيدة الوهابية . قال : يجب أن تعتمد المصادر المعتبرة عندنا . قلت : أجل ، وهذا شرطي اذا أردتم الكلام عنّا . وما هي

المصادر المعتبرة ؟ فأسمى لي عدداً من الكتب ، بعضها موجود في مكتبتي ، والبعض الآخر اشتريته من مكتبات مكة .

وسألته عن المصادر التي يعتمدونها في أحكامهم ؟ . قال كتب الفقه الحنبلي . قلت : ما هو الكتاب المفضل منها ؟ قال المغني لابن قدامة . وأخذ يثني عليه ، و يطنب . وقد اقتنيت هذا الكتاب منذ ١٦ سنة ، وهو ١٢ مجلداً .

قلت : ان صاحب المغني يقول : اذا وطأ الزوج زوجته ، ثم وطأها أجنبي بشبهة ، وأمكن الحاقه بهما يعرض الولد على القافة ، فإن ألحقه بالاول لحق به ، وإن ألحقه بالثاني لحق به ، وان ألحقه بهما معاً لحق بهما معاً (١) .

وكل الناس يعلمون ان الشخص الواحد يكون له أكثر من ابن ، أما أن يكون له أكثر من أب فغريب .

قال من الممكن أن يختلط الماءان ، و يتولد الجنين منهما . قلت : الجنين لا يتولد إلا من بويضة واحدة ، وهي لن تكون إلا من رجل واحد .. فسكت ، فودعته وانصرفت .

واذا اختلف تفكيرنا عن تفكير الوهابية ، و بعدت الشقة ما بيننا فان هذا لا يمنعني من قول الحق ، وتسجيل ما شاهدت من ان الناس وأرباب الحاجات تراجع الكبار منهم وغير الكبار بملىء حريتهم ، وانه لا شيء أهون من الوصول اليهم ، والحديث معهم ، ومناقشتهم ، وهم يصغون للصغير قبل الكبير بصدر رحب ، وخلق عربي ، تماماً كعلماء الدين الاول في قرى جبل عامل الذين يحرصون كل الحرص على حياة البساطة ، والبعد عن الابهة .

---

(١) المغني ج ٧ ص ٤٨٣ و٤٨٤ طبعة ثالثة .

كلية الشريعة :

وفي صباح اليوم التالي ركبت التاكسي الى كلية الشريعة ، وهي بناية جديدة ضخمة ، وهندستها حديثة ، وموقعها يتناسب في سعته وطبيعته مع الكليات والجامعات ، ومما يزيدها عظمة انها في مكة المكرمة قبلة المسلمين ..

صعدت الدور العلوي الاول ، وتنقلت فيها من جناح الى جناح ، فلم أرَ أحداً لا أستاذاً ، ولا طالباً ولا فراشاً لمناسبة عيد الاضحى ، وأخيراً رأيت غرفة مفتوحة ، وعلى بابها قطعة من النحاس الاصفر ، كتب عليها «العميد» فدخلت ، واذا برجل يجلس وراء الطاولة ، يرتدي السترة والبنطلون ، سلمت ، وقلت له : حضرتك العميد ؟ .

قال : نعم .

قلت : والاسم الكريم ؟ .

قال : أحمد علي أسد الله .

قلت : أنا لبناني ، قصدت الحرم الشريف ، لاداء الفريضة وسمعت بكليتكم هذه ، فأحببت التعرف عليها وعلى عميدها ، فهل تفيدونني عن عدد تلاميذها ، وعن المواد التي تدرس فيها ؟ .

قال : أما التلاميذ فعددهم يقرب من ال ٢٠٠ ، أما المواد فهي اللغة العربية ، والتوحيد والفقه .

قلت : ولاي شيء يتأهل خريجوها .

قال : للتدريس في المدارس الثانوية ، والقضاء .

قلت : كانت المدارس من قبل ، بخاصة الدينية منها أشبه بالزوايا ، وتكيات الدراويش ، وهذا البناء الضخم يتفق تماماً في مظهره وفنه مع العصر الحديث وحضارته ، فأسأل الله أن يكون التعليم بروحه

وأهدافه كذلك ، وأن يُبرز الشريعة الاسلامية بأسلوب يحببها الى الجميع ، وأن تجنب التلاميذ روح التعصب والبغضاء بين المسلمين ، ولا يكفر بعد اليوم بعضهم بعضاً ، فانهم أحوج الناس الى الالفة والتقارب ، وأظن انكم تعلمون ــ الخطاب للعميد ــ ان النجديين معروفون عند الناس بالتشدد والتعصب ، لانهم يسيئون معاملة الحجاج الذين لا يدينون بالوهابية .

ففهم ما أردت ، وقال : الحق ان التعصب موجود ، ولكن لا من طرف واحد ، بل من الجميع ، وقد خفّت حدتُه كثيراً عن ذي قبل ــ مثلاً ــ كان النجدي اذا رأى في الكعبة حليق الذقن ينتهره ، و يصيح به ، وربما أخرجه منها ، أما اليوم فيدعه وشأنه ، ومع ذلك فان بعض الحجاج يجسمون الامور أكثر من حقيقتها ، و يوقعونا في مشاكل تافهة ، يمكن تحملها والإغضاء عنها ، لو حسنت النية ، من ذلك أن رجلاً من الجزائر جاء معتمراً في شهر رمضان من هذه السنة ، وصادف ، وهو واقف في حجر اسماعيل ان شخصاً أراد أن يسجد ، فلم ير موضعاً لشدة الزحام ، فنحى الرجل الجزائري بيده ، وهنا ثارت ثورة الجزائري ، وظن ان الشخص وهابي ، وهو ليس وهابياً ، وصاح بأعلى صوته لقد أهنتم الاسلام ونبي الاسلام ، وهدمتم قبور أهل بيته ، وفعلتم الافاعيل ، واجتمعت عليه الجموع ، وهو ينادي و يصيح بالشتم والسباب ، وأخذت مسألته دوراً كبيراً ، واضطررنا أن نقف مع الجزائري ، ومع ذلك بلغت الحال حدها الاقصى من التضخم والتجسيم .

قلت : ان الله جل وعز أراد الدين من الناس اختياراً لا اكراهاً ، ولو شاء لجعلهم أمة واحدة ، كما اتخذ من ألسنتهم أقلاماً تعبر عن الحق ، و بالامس كان الحجاج يشكون من تعصب الوهابية وسوء

معاملتهم ، واليوم خفت الشكوى ، ونرجو أن تزول كلية . وأولى بكليتكم هذه أن تسير في طريق التعقل والتسامح ، وتثور على التعصب البغيض ، وتتجه الى العمل على التقريب بين المذاهب الاسلامية ، وتطلع على كتب الجميع وتنشر الحقائق ، واذا كانت الكلية تعلم الفقه فان الفقه الاسلامي لا ينحصر بالمذاهب الاربعة ، بل يعم فقه المذاهب بكاملها ، وفضل الشريعة إنما يظهر في أقوال المذاهب مجتمعة ، لا في قول مذهب دون مذهب ، كما ان حديث الرسول الاعظم (ص) لا ينحصر بأحاديث الصحاح الستة ، بل يشمل كل حديث ثبت عنه ، سواء أكان في الصحاح أم لم يكن .

فوعد بأن يعمل لما فيه خير الاسلام والمسلمين ، وقد اكتشفت من أسلوبه وأفكاره انه عارف ومتزن .

الشؤون الدينية :

وأثناء عودتي من كلية الشريعة مر السائق بحي يدعى محلة الزاهر ، وهو من الاحياء الحديثة بشوارعه ، و بناياته ، وأشجاره ، وحدائقه ، ورأيت في هذا الحي بوابة كبيرة فوقها لوحة كتب عليها بالخط الكبير «ادارة التفتيش الديني» ، فطلبت الى السائق أن يقف أمام البوابة ، و ينتظر ، وكانت البوابة مفتوحة ، ولما دخلت رأيت حديقة منسقة على الطراز الحديث ، يحيط بها سور يعلو قامة الرجل ، و بناية كبيرة من طابق أرضي ، و بابها مفتوح ، فدخلت دون أن أطرق الباب ، واذا بدار واسعة وفيها غرف مفتحة الابواب ، نظرت في غرفة على يمين الداخل ، فلم أر أحداً ، فتركتها الى الثانية ، وفيها رجل واحد ، وما أن رآني ، حتى قال : هناك هناك وأشار الى غرفة الى اليسار .

دخلت هذه الغرفة ، واذا بأربعة رجال ، أو خمسة ، و بعد أن

سلمت ، واستقر بي الجلوس قلت : أنا لبناني ، وقد أتيت للحج ، وأرغب في التعرف على الهيئات الدينية ، وأعمالها ، فماذا تعنون بالتفتيش الديني ؟ وهل تبحثون عن دين الانسان ، وماذا يعتقد ، فتقومونه ان كان اعتقاده معوجاً ؟ .

قال أحدهم ، وهو المدير العام ، واسمه الشيخ محمد بن عبدالله آل الشيخ ، وأخوه وزير الاوقاف ، قال : كلا ، بل نربي النشء في المدارس على عقيدة الاسلام وأخلاقه ، وننظر الكتب التي تدرس هذه المادة ، ونشرف على سير أساتذها ونشاطهم .

قلت : هذا حسن ، ولكن المهم هو الاسلوب ، وصواب الفكرة ، وابراز الدين بصورة تسير مع الحياة ، حتى يرغب فيه الصغير والكبير ، ولا شيء يقف في طريق الغاية المنشودة من الدين كالتعصب ، فأرجو أن لا تذهلوا عن هذه الحقيقة ، وقبل أن أنهي حديثي التفت أحد الحضور ، وإسمه الشيخ علي معجل ، وهو مفتش في هذه الادارة ، التفت الى المدير ، وطلب اليه أن يدع له الجواب ، كأنه يريد النزال والقتال ، و يسأل رئيسه الاذن بالمبارزة ، وقال لي : ماذا تعني بالتعصب ؟ .

قلت : ان المسلمين اخوان على دين واحد والاختلافات التي بينهم ليست جوهرية ، وقد عنيت بترك التعصب أن لا تكفر أنت ولا غيرك من نطق وآمن بكلمة التوحيد ، كما هو المعروف والمشهور عن الوهابيين انهم يكفرون غيرهم ، لا لشيء إلا لانه غير وهابي .

قال : ولكن يجب على المسلم أن يؤمن بكلمة التوحيد بحقها .

قلت : حقها معروف ، وهو الايمان بالجنان ، والاقرار باللسان ، والعمل بالاركان ، والاركان هي الصوم والصلاة ، والحج والزكاة ، وكل المسلمين يصومون و يصلون ، ويحجون و يزكون .

قال : هنا شيء آخر .

فأومأ اليه المدير بالسكوت ، فسكت ، وتمنيت لو تركه في حديثه ، لاعرف ماذا يريد من الشيء الآخر ؟ . وأعرفه مكانه من العلم والمنطق .. وأظن انه قصد بالشيء الآخر تعمير القبور وزيارتها والصلاة عندها .. ومهما يكن ، فسيأتي الحديث عنها مفصلاً .

ثم قام المدير من مكانه ، وجلس الى جانبي ، وقال بالحرف ، و بكل تواضع : ان ما تقوله هو الحق ، أجل ، نحن أخوان ، و يشهد الله اننا نكره التعصب والمتعصبين ، ولكن الدعايات هي التي تلفق وتختلق .. ثم قال لي المدير : نحن بخدمتك ، وخدمة كل حاج معك ، مرنا بما شئت . قلت : شكراً ، لا شيء سوى التعرف عليكم .. وما رأيت أحداً في مكة المكرمة بخلقه وتواضعه ، لذا نظرت اليه مستغرباً ، وقلت : من أين أنت ؟ قلت هذا ، وأنا أعلم انه نجدي وهابي .

فضحك بملء فمه ، وقال : أنا نجدي وهابي متعصب .

وحين أردت الخروج عرض عليّ أن يوصلني بسيارته الى حيث أريد ، فشكرته ، وقلت : معي سيارة ، فرافقني حتى ركبت ، وحين الوداع سألني عن اسمي وعنواني الكامل ؟ . قلت : وما يعنيك من أمري ؟ قال : أنا أصطاف بلبنان ، وعزمي على زيارتكم .

قلت : إذن ، أخسر فنجان قهوة ، ولست مستعداً لذلك .

قال أجل ، ومعه فنجان شاي أيضاً .

قلت : هذا ادعى الى الكتمان .. ثم سألني أين أقصد ؟ .

قلت الى الشيخ عبد الله خياط ، وهو مستشار في وزارة المعارف ، وامام الجماعة والجمعة وخطيبها في الحرم المكي الشريف .

قال لي المدير : إياك أن تقول له : أنا جعفري . قلت : أترك الامر للمقتضيات والمناسبات ، ثم ودعته شاكراً بعد أن رأيت فيه المرونة والتعقل ، ولو كنت مكان المسؤولين في السعودية لاخترته سفيراً لدى

احدى الحكومات الكبرى .

امام الجمعة والجماعة :

ذهبت الى هذا الشيخ ، وهو عبد الله خياط ، امام الجماعة والجمعة وخطيبها في الحرم الشريف ، ومستشار وزارة المعارف ، وابتدأته بقولي المكرور : أنا حاج من لبنان ، واذا كان من فوائد الحج و بركاته التعارف بين المسلمين ، فأولى أن نتعرف ونعرف أعيان هذا البلد الامين ، وقد زرت وتعرفت على رئيس القضاة الشيخ سليمان بن عبيد ، وعميد كلية الشريعة الاستاذ أحمد علي ، ومدير التفتيش الديني الشيخ محمد بن عبدالله ، وسررت بمقابلة هذا المدير كثيراً . قلت هذا ، وانتظرت ، ليعلق بالايجاب أو السلب ، ولكنه بقي صامتاً ، فاستأنفت الكلام ، وقلت : ان الشرطة كانوا يضايقون الحجاج من قبل ، أما اليوم فأخف ، فهل هذا يعني انكم رأيتم سياسة التسامح أفضل ؟ .

قال : كل ما يقال هو مجرد دعاية ضدنا .

قلت : ان للاسلام امكانات وقوى عظيمة ، وعلى المخلصين أن يستغلوها لتحسين العلاقات الاجتماعية النافعة للمسلمين .

قال : ان الصلاة عامود الدين اذا قبلت قبل ما سواها ، وان ردت رد ما سواها .

قلت : هذا حديث صحيح ، ولكن له مقام آخر .

قال : كل حديث غير حديث الصلاة لا يجدي .

قلت : وهل هناك طائفة تنتمي الى الاسلام ، وتترك الصلاة ؟ .

قال : الشباب الشباب لا يصلون ، ثم أفاض بالكلام عن تهاون الشباب بالصلاة .. هذا ، مع العلم بأن هذا الرجل حين يقف للصلاة في الكعبة يغص الحرم والمسعى على سعتهما بالمصلين ، ويمتلىء الشارع

والسوق المحيط بهما بالمؤتمين ، وأكثرهم من الشباب ، ومع ذلك لم يشبع ، و يطلب المزيد من المؤتمين به ..

قلت : وأي مانع من اتحاد المسلمين ، وعملهم يداً واحدة لحمل الشباب على الصلاة ؟ .

قال : أبداً إلا الصلاة أولاً ، والاتحاد ثانياً .

قلت : ياشيخ ان للاسلام أعداء يكيدون له عن طريق الدس ، وحمل بعض المسلمين على تكفير بعض ، لينالوا منهم ما يبتغون ، فعلينا أن نثنيهم عن أهدافهم ودسائسهم .

قال : الله يوفق ، الله يوفق ، قالها بأسلوب يشعر بعدم الرضا والاقتناع . أما الصورة التي ارتسمت في ذهني لهذا الشيخ فهي نفس الصورة التي ارتسمت في ذهنك أيها القارىء ، وأنت تقرأ ما دار بيني و بينه من الحوار.. ومن الحكايات الشائعة في قرى جبل عامل ان رجلاً أطرش كان يزرع الفول في أرضه ، فمر به آخر ، وسلم عليه ، فظن الاطرش انه يسأل ماذا يزرع ؟ . فقال : أزرع الفول . قال له : كذا في ذقنك . فقال بطولها ، وهو يريد ان الزرع امتد من أول القطعة الى آخرها .

هذا الشيخ المتعصب الذي أتم بابليس امام المتعصبين يأتم به الهمج الرعاع ، و يطلبون من الشيعة أن يأتموا به .. وقد عقد البخاري في الجزء الاول من صحيحه باباً خاصاً في أن «أهل العلم والفضل أحق بامامة الصلاة» .

ولا أدري اذا كان المستشارون في وزارة المعارف السعودية كلهم على شاكلة هذا الخياط وفي وعيه ومعرفته ؟ .

في المدينة المنورة :

بعد الانتهاء من الحج ومناسكه سافرت الى المدينة المنورة ووصلت اليها يوم الثلاثاء ١٦ ذي الحجة ٢٨ نيسان سنة ٦٤ ، وكان البيت الذي نزلت فيه قريباً من البقيع ، لذا ابتدأت بزيارة قبور أئمة البقيع (ع) ، والبقيع قطعة واسعة من الارض مسورة بحائط رفيع ، وله باب يقف عليه شرطي ، يمنع النساء من الدخول ، و يأذن للرجال ، وفي هذه البقعة المباركة المقدسة دفن الامام الحسن ، والامام زين العابدين ، والامام محمد الباقر ، والامام جعفر الصادق ، وكثير من الصحابة والصلحاء ، وكان على قبور الائمة الاربعة بناء تعلوه قبة ، فهدمه الوهابيون سنة ١٣٤٣ هـ . حين انتزعوا الحجاز من الشريف حسين ، واستولوا عليه .

ولم يحجموا عن هدم الحرم النبوي إلا بعد ان ثارت ثائرة المسلمين عليهم ، وقامت الدنيا على رؤوسهم ، ولم تقعد ، وإلا بعد أن تأكد لهم ان المسلمين لا يدعون وهابياً على وجه الارض ، لو مسوا القبر الشريف بسوء .. وقد سمعت خطيبهم يخطب في حضرة الرسول ، و يقول بحرقة وحسرة : كان علينا أن نمنع الناس عن هذا المكان ، ولكن ماذا نصنع ، وقد غلب على أمرنا .. ورغم ان مكانة أهل البيت هي مكانة جدهم بالذات ، وحقهم هو حقه على كل مسلم إلا أن اهتمام الشيعة وتمسكهم بهذا الحق ، وابرازهم لهذه المكانة وخصائصها وآثارها حمل غيرهم من المسلمين أن يتجاهلوا ، و يغضوا الطرف عن جريمة الوهابيين ، وما فعلوه بقبور الآل الكرام .

دخلت البقيع ، فرأيت الالوف يحيطون بقبور الائمة يزورون و يدعون ، و يتضرعون و يبكون ، أما النساء فيقفن وراء الحائط ، يزرن

متجهات الى البقيع .

ولم أستطع المكوث في البقيع ، بعد أن رأيت ما رأيت من آثار الظلم والجور على أهل البيت الذين أشادوا صرح الدين ، وأعلوا كلمة الحق .. لم أستطع التأخر رغم تشوقي وتلهفي ، وأي فرق بين أن أرى آثار الوهابيين في البقيع ، و بين أن أرى ما فعل الامو يون والعباسيون بأهل البيت ؟ .. كل منهم أراد أن يشتفي و ينتقم لنفسه من الحق والعدل ، وانتهج سياسة الضغط وكبت الحريات ، وأعلن الحرب على العقائد والمبادىء ، وعلى كل شعيرة لها تأثيرها في نشر الحق والعدالة ، والمساواة ، وكراهية البغي والمحاباة .

وقد يظن اني أقول هذا بوصفي شيعياً موالياً موتوراً ، يريد أن ينتقم لعقيدته وأئمته .. وقد يكون هذا الظن حقاً ، وقد يكون باطلاً ، ولكن الحق الذي لا يتطرق اليه الشك والريب ان الوهابيين اليوم كالامو يين والعباسيين بالامس ، يعيشون في الترف والنعيم ، والناس حولهم جياع عراة ، وما هو المبرر لهذا التفاضل والاستئثار ؟ . هل هو الشرف والعظمة التي يدعيها الجهلاء والسفهاء ؟ . فهؤلاء آل الرسول أشرف وأعظم الناس اطلاقاً بعد جدهم ، ومع ذلك قدّروا أنفسهم بأفقر الناس ، يشبعون يوماً ،ويجوعون أياماً ، فكيف بالادعياء ؟ .. إذن لا مبرر إلا الظلم والجور .. ولولا أهل البيت ومن سار بسيرتهم لم تتضح هذه الحقيقة ، ولم يفتضح بسببها الدعي المستأثر ، ومن هنا كانت اساءة التقي للشقي ، والمحق للمبطل ، والشريف للوضيع ، والعالم للجاهل . وهذا ما قوّى من عزيمة الوهابيين على الهدم ، ومحاولة الاعفاء على الرسم ، وان تصوروا ، وخيل اليهم ان الدافع والمحرك الاول هو الاخلاص للوحدانية ، والقضاء على الوثنية .

وتقول : ان الوهابية تدين بعدم البناء على القبور منذ وجودها ،

حيث لا ذهب أسود ، ولا أبيض ، ولا فولاذ ولا زنك ولا حديد .

قلت : هذا صحيح ، وصحيح أيضاً ان من يستأثر على الناس بما تحتاج اليه هو وعد طبيعي لمن يرى لنفسه شيئاً تحتاجه الناس ، أراد ذلك ، لو لم يرد .

ومهما يكن ، فان استطاع الوهابيون أن يزيلوا الاحجار عن قبور الائمة الاطهار ، فانهم أضعف من أن يزيلوا ذرة من الحب والولاء للرسول وآله ، أو يمحوا كلمة واحدة من كلامهم ، وحكماً من أحكامهم ، فلقد دلتنا التجارب المتتالية عبر التاريخ ان عظمة الآل ترتبط بارادة الله ، لانه هو الذي اصطفاهم واختارهم للعظمة ، ولا راد لما اختار وأراد ، فلقد فعل يزيد الاموي ، والمتوكل العباسي وغيرهما ما فعل الوهابيون ـ، وكانت النتيجة ان اقترن اسم الآل بالتقديس والصلوات ، واسم أعدائهم بالتحقير واللعنات الى يوم يبعثون .

وقد سمعت بأذني هذه اللعنات ، وأنا في البقيع ، وسمعها شرطة الوهابية تنطلق من أعماق القلوب كأنها الصواريخ تنقض على رأس من ظلم وهدم .

ان الاحجار ليست بشيء في ذاتها عند الشيعة، ولا صلة لها بالعبادة ، ولا بالولاء .. وما هي إلا علامات ودلائل على المكان ، تماماً كالمآذن ، والسر هو التدين بولاء أهل البيت ، لانهم قتلوا وشردوا وظلموا في سبيل الحق ، أما قلق الشيعة لهدم قبور أئمتهم فلأنه امتداد لذاك الظلم ، هذي هي الحقيقة ، أما عبادة الاحجار ، أو عبادة صاحب القبر فكلام فارغ لا مدلول له ولا أثر عند الشيعة ، بل هذه العبادة شرك في عقيدتهم ، ولا يورثون فاعلها ، ولا يخالطونه في مأكل أو مشرب .. و بالاختصار ان الشيعة يدينون بالعدل وأهله ، وكلما قويت شوكة الظالمين ، وتفاقم ظلمهم في أي زمان أو مكان كلما ازدادوا تجاو باً وانسجاماً مع أهل

الحق والعدل .

و بالتالي ، فان الشيعة ، وهم ما يقرب من مئة مليون(١) ، لا يسمحون للوهابية فعلتهم إلا أن يدعوا لهم الحرية الكاملة في اعادة البناء ، وهي حق مشروع لهم ، ولكل مسلم آمن بالله وكتابه ، و بالنبي وسنته ، وهذه الحرية هي السبيل الوحيد لجمع الشمل ، وتوحيد الكلمة ، والقضاء على الاحقاد والاضغان التي يثيرها منظر الهدم والتخريب .

الى الحرم النبوي :

تركت البقيع ، وأنا تائه القلب والعقل ، وقصدت الحرم النبوي الشريف ، و بغير شعور رأيتني أقبل الباب عند الدخول ، ثم أهجم على القبر الزكي ألثمه باكياً شاكياً الى الله والى صاحب القبر ما حل بأهله أحياء وأمواتاً .. وأشكر تلك الصدفة ، حيث لم تدع أحداً ينتبه اليّ ، أجل ، سمعت قائلاً يصيح : لا لا ، فتنحيت عن القبر خشية أن يحدث ما لا أحب ، و بعد أن زرت ، ودعوت شقت طريقي بين الامواج البشرية المتدافعة الى الروضة بين قبر النبي ومنبره ، حيث يكثر الزحام فيها ، والتسابق اليها ، تماماً كما هي الحال عند الحجر الاسود ، لحديث (بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) . واستطعت بحمد الله أن أصل الى هذه الروضة أكثر من مرة ، بل ، وصليت فيها تماماً ، فكنت أنتظر واقفاً خلف بعض المصلين ، والجالسين الى أن يترك مكانه ، فأسبق اليه قبل أن يحتله غيري ، وقد أشركت في دعائي ــ وأنا في هذه الروضة ــ كل من تصافيت وإياه على الحب في الله ، واستخلصني ،

---

(١) وان كانت الاحصاءات اليوم تتجاوز هذا الرقم بكثير.

واستخلصته للعلم والايمان ، لا للدنيا ، ودعم الكيان . أما من سقمت مودته ، لا لشيء إلا لانه لا يطيق أن يسمع كلمة خير عن صديق أو مثيل ورفيق فقد طلبت من الله سبحانه أن يعينه على نفسه ، و يطهر لسانه وقلبه مما يشين ، و يرفعه بالعلم والورع والاخلاص الى أعلى عليين .

ودخل يوم الغدير ، وأنا في طيبة مهبط الوحي والتنزيل ، وحيث بيت علي وفاطمة الذي ولد فيه ودرج الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .. ورغب اليّ التقي النبيل العلامة الشيخ محمد علي العمري عالم النخاولة أن ألقي محاضرة بهذه المناسبة في الحسينية مساء ١٨ من ذي الحجة ، فلبيت مغتبطاً ، وكيف أرفض ، أو أتردد في أمر عشت من أجله وأوقفت له عمري كله ، وغص المكان بالناس في داخله وخارجه ، يستمعون بكل مشاعرهم ، يخيم عليهم جلال اليوم ، وعظمة صاحبه ، يجمعهم عقل واحد ، وقلب واحد يتدفق بالحب والولاء للغدير وصاحب الغدير .

وكانت ساعة أحسست بأنها تعادل حياتي كلها ، وأي ساعة أجل ، وأفضل من ساعة أقف فيها خطيباً في بلد الصادق الامين ، و يوم أخيه ووزيره وخليفته مردداً ومعدداً نفس الفضائل والمناقب التي رددها وعددها رسول الرحمة قبل حجة الوداع ، وفيها و بعدها ،و بلّغها ــ وهو على مفترق الطرق ــ أهل الدنيا جيلاً بعد جيل .. الحمد لله ، وله الشكر على ما وفق من حج بيته الحرام ، وزيارة قبر نبيه وأبنائه عليه وعليهم السلام ، والقيام بما وجب عليّ في هذا اليوم العظيم الذي اختار الله فيه علياً عصمة للمؤمنين ، وخليفة لرسول رب العالمين : نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء .. ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور .

مع رئيس القضاة :

وذهبت في اليوم الثاني الى المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة ، وفيها جميع قضاتها وهم خمسة ، وعليهم رئيس ، كما هي الحال بمكة المكرمة ، دخلت غرفة أحدهم ، وجلست على بعض مقاعدها ، فنظر اليّ القاضي ، وقال : هل من حاجة ؟ .قلت له : هل أنت قاضٍ ؟ . قال : نعم ، ونائب الرئيس . سألته عن اسمه ؟ . قال : عبد المجيد بن حسن .

قلت : هل تسمح بالاطلاع على سجل الاحكام ، فاني أحب أن أقارن بينها و بين الاحكام في لبنان ؟

قال : هل أنت قاضٍ ؟ .

قلت : أجل .

قال : في المحاكم الحنفية ، أو الجعفرية ؟ .

قلت : أنا جعفري ، وشرعت بالحديث عن الاسلام والمسلمين ، و بأي شيء يؤكدون أنفسهم ، و يطورون قواهم اجتماعياً ، وسياسياً .. وكان يردد قول طيب طيب ، ولا يزيد ، وحين هممت بوداعه قال : الى أين ؟ . قلت : الى الرئيس الشيخ عبد العزيز بن صالح ، فأرسل معي شرطياً أرشدني الى غرفته ، فتحت الباب ، ودخلت ، فأهل ورحب .

وابتدأت الحديث بهذا السؤال : كيف تفسرون قول الرسول (ص) : اختلاف أمتي رحمة ؟ .

قال : اختلافهم في الفروع ، لا في الاصول .

قلت : إذن جميع الطوائف الاسلامية من أمة محمد ، لان الاصول هي الايمان بالله ، والرسول ، واليوم الآخر ، والكل يؤمنون بذلك دون استثناء .

قال : وهناك أصل آخر .

قلت : ما هو ؟ .

قال : خلافة أبي بكر ، وانها حق له بعد الرسول بلا فاصل .

قلت : الخلافة من الاصول ؟! .

قال : نعم .

قلت : لقد نفى السنة عنهم هذا القول ، ونسبوه الى الشيعة الامامية ، وأنكروه عليهم(١) .

قال : أجمع أهل السنة على ان خلافة أبي بكر من الاصول ، وأصر .

قلت : لا يثبت أصل من أصول الدين إلا ببديهة العقل ، أو بنص الكتاب نصاً صريحاً ، أو بسنة تكون بقوة القرآن ثبوتاً ، و بدلالة لا إله إلا الله وضوحاً ، أما أخبار الآحاد فليست بشيء في باب الاصول ، وإن كانت حجة في الفروع .

قلت : هذا صحيح ، وقد تواتر عن الرسول انه قال : يأبى الله ورسوله إلا أبابكر .

قلت : كيف يكون هذا متواتراً ، ولم يروه الشيخان البخاري ومسلم ولا احتج به أبو بكر ، ولا عمر ، ولا أحد يوم السقيفة حين رأى الانصار انهم أولى من أبي بكر بالخلافة ، فشرع يتكلم عن الحديث وأقسامه ، ثم أكد مصراً على تواتره ، وانه لم يخالف في ذلك إلا الشيعة ، ولما لم أجد وسيلة لاقناعه قلت له : هل من شرط صحة الحديث أن يثبت عند الجميع ، أو عند من يعمل به فقط ؟ . قال : بل عند من يعمل به .

قلت : هذا الحديث لم يثبت عند الشيعة لا بطريق التواتر ، ولا

---

(١) جاء في كتاب المواقف وشرحه ج ٨ ص ٣٤٤ : «ليست الامامة من أصول الديانات والعقائد خلافاً للشيعة ، بل هي عندنا من الفروع .

بطريق الآحاد ، ولذا لم تكن خلافة أبي بكر عندهم من الاصول ، ولا من الفروع .

البناء على القبور :

وقد لمست من كل مَن اتصلت به من شيوخ الوهابية الاعتقاد بأن البناء على القبور شرك وإلحاد ، وان القصد وشد الرحال لزيارة قبر الرسول الاعظم (ص) من أكبر الكبائر .. و بذلك صرح الامير فيصل بن عبدالعزيز في الخطاب الذي ألقاه بمكة المكرمة ، وأكد أن بناء المسجد على قبر الرسول حرام ، وهو طريقة اليهود والنصارى ، وقال ما نصه بالحرف الواحد :

«قال رسول الله : قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، فلا تتخذوا قبري هذا من بعدي مسجداً ، فما معنى ذلك ؟ . ربنا يقول : ادعوني أستجب لكم ، ما قال : ادعوا الانبياء ، ولا ادعوا الملائكة ، ولا ادعوا الاولياء والصالحين» . (جريدة الندوة المكية عدد السبت ٦ ذي الحجة سنة ١٣٨٣ هـ .) .

ومن قبل ذهب أخوه الملك سعود الى ايران ، وطالبه العلماء أن يسمح باعادة البناء على قبور أئمة البقيع فجابههم بهذه الآية : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» أي ان هؤلاء الشيوخ كافرون ، لانهم طالبوا بغير ما أنزل الله .. واذا عطفنا قول فيصل على قول أخيه سعود تكون النتيجة ان الحاكم في السعودية هو وهابي قبل كل شيء ، وان الوهابية فوق كل شيء ، حتى الشعب والناس أجمعين .. ومن قرأ كتبهم ظهرت له هذه الحقيقة بأجلى معانيها ، فقد جاء في كتاب : «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» ص ٤٨١ : ان تعلية القبور من ذرائع الشرك ووسائله .. وفي ص ٣٢ و٤٨٣ ان تجصيص

القبور والصلاة عندها يشبه تعظيم الاصنام بالسجود لها ، والتقرب اليها» .

وجاء في كتاب «تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد» ص ٣٨ : هؤلاء القبوريون سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة . وفي ص ٣٢ ان تسمية القبر مشهداً ، ومن فيه ولياً لا يخرجه عن اسم الصنم والوثن .. وفي ص ٣٤ فان قلت : هل الذين يعتقدون بالقبور والاولياء مشركون كالذين يعتقدون بالاصنام ؟ . قلت : نعم قد حصل منهم ما حصل من أولئك وساووهم في ذلك ، بل ازدادوا في الاعتقاد والانقياد والاستعباد ، فلا فرق بينهم» .

واذا كان التعمير على القبور شركاً ، والاعتقاد بالاولياء أكبر من الشرك وأعظم فهل يبقى مجال للسعي ، أو أمل في اقناع الوهابيين ؟ .

وذهبت في اليوم الثالث الى الجامعة الاسلامية بالمدينة ، فوجدتها مقفلة ، لمناسبة عطلة العيد ، و بعد رجوعي الى لبنان أخبرني الدكتور مجتهد زاده عميد كلية المعقول والمنقول بخراسان انه ذهب الى هذه الجامعة بعد العطلة ، واجتمع بالاستاذ محمد العبودي الامين العام لها ، وأخبره ان عند الجامعة أربعة كتب من مؤلفاتي ، ولكنهم يمنعون الطلاب من الاطلاع عليها ، كما اجتمع بصالح بدر الحيدري مدير متوسط أبي بكر الصديق بالمدينة ، وقال له : انه قرأ كتبي ، وانه يرغب في مقابلتي .

وأرى لزاماً أن تهدى بعض كتب الشيعة لعلماء الوهابية ، ومكتباتهم العامة بمكة والمدينة والرياض ، ولاساتذة المعاهد والكليات ، أرى هذا رغم علمي و يقيني ان للوهابية مبدأ لا تحيد عنه ، وهو ان كل من عداهم مشرك ، وان نطق بكلمة التوحيد ، وصام وصلى ، وحج وزكى ، وقال بالثواب والعقاب ، وان المشرك على نوعين : مشرك لا

ينطق بكلمة التوحيد ، ولا يصوم و يصلي ، ولا يحج و يزكي ، ولا يقول بالثـــواب والعقاب.ومشرك ينطق بكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، و يصوم و يصلي ، ويحج و يزكي ، و يقول بالثواب والعقاب . .

وتظهر لك هذه الحقيقة من الفصول التالية .

المسلم الكافر

المسلم :

معنى الاسلام في اللغة الانقياد والاستسلام ، أما الشرع فقد استعمله في معانٍ شتى ، منها المسلم الاخلاقي السلبي الذي أشار اليه النبي (ص) بقوله : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده» . فان في غير المسلمين من يكف أذاه عن الناس أجمعين ، لا عن المسلمين فقط ، وقد سمعنا ، وقرأنا عن أفراد من الهندوس بلغوا الغاية في المسالمة ، حتى لمن اعتدى عليهم .. ومهما يكن ، فان المسلم الكامل في خُلقه هو من أدى حقوق الناس الى جانب قيامه بحقوق الله جل وعز .

ومنها المسلم العامل الايجابي (١) قال الرسول الاعظم (ص) في جواب من سأله أي الاسلام خير : «اطعام الطعام ، وإفشاء السلام) . وقال : «ثلاث من كن فيه فقد جمع الايمان : الانصاف من نفسك ، و بذل السلام ، والانفاق من الاقتار» .

---

(١) ان الاسلام كما يطلب من الانسان أن لا يجرم ، يطلب منه أن يحارب المجرمين .

وإطعام الطعام كناية عن العمل النافع ، بخاصة ما كان منه لسد العوز، ودفع الفقر عن المحتاجين ، أما السلم والسلام فهو قوام الحياة ، قال بعض شراح الحديث : وإنما خص النبي هاتين الخصلتين بالذكر لمسيس الحاجة اليهما .

ومنها المسلم الذي تجري عليه أحكام الاسلام من المناكحة والتوارث ، وعصمة الدم والمال ، وتغسيله ، وتكفينه ، والصلاة عليه ميتاً ، ودفنه في مقابر المسلمين ، و بكلمة أن نلتزم ديناً بأن له للمسلمين ، وعليه ما عليهم ، تاركين ما عدا ذلك لجزائه في الآخرة ، فعذابه في نار جهنم ، بل خلوده فيها لا يمنع أبداً من أن نجري عليه حكم الاسلام ، فان أميرالمؤمنين علياً قاتل أهل الجمل ، ولم يجز تقسيم أموالهم ، وسبي نسائهم ، وأيضاً قاتل الخوارج ، وقال : لا نمنعهم من المساجد ، ولا من الفيء . أما قوله في أهل الشام الذين تجمعوا لقتله وقتاله في صفين : «إنما أصبحنا نقاتل أخواننا في الاسلام ، أما قوله هذا في أعدى أعدائه وألد خصومه فقد بلغ الغاية في انصاف الخصوم والاعداء ، وهذا المسلم هو المقصود من هذا الفصل ، ومن قول الفقهاء : «الاسلام الظاهر» وقد جاء تحديده في كتاب الله ، وسنة الرسول واضحاً جلياً .

قال تعالى في سورة التوبة :«فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم» الآية ٥ . وفي الآية ١١ من هذه السورة : «فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين» .

وعن ابن عباس ان هذه الآية حرمت دماء أهل القبلة . وفي الآية ٩٤ من سورة النساء : «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً» . وقد دلت الآية على ان من أظهر أدنى علامة من علامات الاسلام ، كالتحية جرت عليه جميع أحكامه ، قال البخاري : «ان رجلاً كان في

غنيمة له ، فلحقه المسلمون ، فقال : السلام عليكم ، فقتلوه ، وأخذوا غنمه ، فأنزل الله هذه الآية» .

وفي صحيحي البخاري ومسلم ان النبي قال : «أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، و يقيموا الصلاة ، و يؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام ، وحسابهم على الله» .

وفي الحديث دلالة صريحة على الاكتفاء بظاهر الاسلام ، وترتب الاحكام بمقتضاه ، و بخاصة قوله (ص) : «وحسابهم على الله» .

قال ابن حجر في فتح الباري : «و يؤخذ منه ــ الضمير عائد على هذا الحديث ــ ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد الملتزمين للشرائع ، وقبول توبة الكافر من كفره بدون تفضيل بين كفر ظاهر أو باطن» .

وأيضاً في البخاري عن النبي : «أتدرون ما الايمان بالله وحده ؟ . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال شهادة ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام شهر رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس» .

وأيضاً في البخاري ومسلم ، وعن الترمذي وابن حنبل ان النبي قال : «من مات ، وهو يعلم ان لا إله إلا الله دخل الجنة» . وأيضاً عن البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وابن حنبل انه (ص) قال : «ان الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله» . وأيضاً في البخاري ومسلم ، وعن الترمذي وابن حنبل انه (ص) قال : «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة . وان ارتكب الكبائر» . وأيضاً عن ابن حنبل عن النبي : «ماذا يجد من قال : لا إله إلا الله عند حضرة الموت» . وأيضاً في البخاري ومسلم ، وعن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن

حنبل عن الرسول الاعظم : «من قال : لا إله إلا الله فقد عصم ماله ونفسه» .

أما حديث بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت فقد تجاوز حد التواتر عند جميع الطوائف الاسلامية ، ومن راجع كتب التاريخ والسير ، وكتب الفقه والتفسير يرى ان علماء المسلمين مجمعون قولاً وعملاً منذ حدوث الاختلاف فيما بينهم الى يومنا هذا على أن يعاملوا من نطق بالشهادتين معاملة المسلمين في الزواج والارث واحترام الدماء والاموال ، فمن أقوالهم في باب الجنائز : «تجب الصلاة على أهل القبلة» . وفي باب الارث : «المسلمون يتوارثون على اختلاف مذاهبم» . وفي باب الحدود : «لا يقام الحد على أحد إلا اذا سلم من الشبهة . وقالوا : اذا قال الكافر ، لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد دخل في الاسلام ، وان المرتد اذا كانت ردته بالشرك فان توبته بالشهادتين ، وفي كتاب المغني لابن قدامة ج ٧ ص ١٢٧ و١٤١ وما بعدها ما نصه بالحرف : «ان رجلاً استأذن رسول الله بقتل رجل من المسلمين ، فقال الرسول : أليس يشهد ان لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن لا شهادة له . قال الرسول : أليس يصلي ؟ . قال : بلى ولكن لا صلاة له . قال النبي : أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم» . ثم قال صاحب المغني : واذا ثبتت ردته بالبينة أو غيرها ، فشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لم يكشف عن صحة ما شهد عليه به ، وخلي سبيله .

وهذا الكتاب في الفقه على مذهب الحنابلة ، وهو المعتمد عند الوهابية ، هذا ، الى ان المعهود من طريقة الشارع التشدد والاحتياط في أمر التكفير ، وهو من الموارد التي يتغلب فيها الضعيف على القوي ، فلو وجد ٩٩ وجهاً للتكفير ، ووجد وجه واحد لعدمه تغلب الواحد على

التسعة والتسعين . وعلى الرغم من الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية التي جاءت في الصحاح الستة وغيرها ، وعلى الرغم من قيام الاجماع من يوم الاسلام الاول الى آخر يوم ، وعلى الرغم من ان التسامح من فضل الرحمن ، والتعصب من لعنة الشيطان ، على الرغم من ذلك وغير ذلك فقد جزم ابن تيمية بأن النطق بالشهادتين لا يكفي ، والعلم بهما لا يجدي ، والصوم والصلاة ، والحج والزكاة لا ينفع إلا من آمن بآراء ابن تيمية ، وكفر بغيرها .

ولا شيء أدل على ذلك من أنه قسم المشركين الى نوعين : نوع لا ينطق بالشهادتين ، ولا يصوم و يصلي ، ويحج و يزكي ، ولا يؤمن بحساب وعقاب ، والنوع الآخر من المشركين ينطق بلا إله إلا الله وبمحمد رسول الله ، و يصوم و يصلي ويحج و يزكي ، و يؤمن بالحساب والعقاب ، وهذا النوع هم المارقون من الاسلام ، لا لشيء إلا أنهم لا يعتقدون كل ما يعتقده ابن تيمية(١) وهكذا بلغ به التشدد ان لا يرضى إلا عمن وافقه فيما هوعليه ، والذي أفهمه من هذا التشدد أنه تماماً كالذين عناهم الله بقوله : «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ــ البقرة ١٢٠» .

من أقوال ابن تيمية :

قال ابن تيمية واضع حجر الاساس لمذهب الوهابية في كتاب «الرسالة التدميرية» ص ٦٢ ما نصه بالحرف : «فان عامة الذين يقرون بالتوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع ،

---

(١) اذا صح هذا التقسيم فانما يصح و يصدق على من قسم المشركين اليهما ، قال النبي الاعظم (ص) : من كفر أخاه بغير تأو يل فهو كما قال : أي كافر (صحيح البخاري) .

فيقولون : هو واحد بذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته ، لا شبيه له ، وواحد في أفعاله ، لا شريك له . قال في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» ص ٤٥٩ : «وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام ، ومن أهل الارادة والعبادة ، حتى قلبوا حقيقته في نفوسهم» . وفي ص ٤٦٥ : «فسوى بين المؤمنين والمشركين» .

ومعنى هذا ان جميع علماء الكلام مشركون ، وكذلك العابدون المتعبدون لا ينفعهم ايمانهم بأن الله واحد بذاته . واحد بصفاته ، واحد بأفعاله .. يقول الله ورسوله : ان المسلمين هم الذين لا يستكبرون على كلمة التوحيد ، و يقول ابن تيمية : كلا ، انهم مشركون ، وان لم يستكبروا عليها . وأراد الله والرسول أن يجمعا صفوف المسلمين بالقصد الى بيت الله الحرام ، والصلاة الى قبلة واحدة ، و يأبى ابن تيمية إلا أن يشتت ، و يفرق ، و يفتت ، وان نطقوا بالشهادة ، وصلوا جميعاً الى قبلة واحدة ، وحجوا الى بيت واحد .

علماء الكلام الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا بعد محمد نبياً آخر ، علماء الكلام الذين ذبوا عن الاسلام ، ودفعوا عنه الشبهات ، وناضلوا أهل البدع ، وأحسنوا كل الاحسان في نصرة الكتاب والسنة ، علماء الكلام هؤلاء مشركون عند ابن تيمية إمام الوهابيين ، لا لشيء إلا لانهم نزّهوا الله عن المثيل والشبيه والشريك .

والآن تعال معي لنقرأ رد «ابن تيمية على المتكلمين ، قال في ص ٦٤ من «الرسالة التدمرية» : «يريدون من هذا اللفظ ــ أي نفي المثيل والشبيه والشريك ــ نفي علو الله على عرشه ، ومباينته لخلقه ، وامتيازه عنهم ، ونحو ذلك من المعاني المستلزمة لنفيه وتعطيله» . وتوضيح كلامه هذا ان الله في واقعه لا يمتاز عن خلقه ، لا في ذاته ، ولا

في صفاته ، ولا في أفعاله ، ولكن المتكلمين يجعلونه مبايناً وممتازاً عن الخلق ، وهذا الامتياز والتباين يستلزم تعطيل الله ، و بالتالي ، نفيه وتعطيله من الاساس ، والنفي والتعطيل جحود وشرك ، فالمتكلمون ، إذن ، مشركون . .

أرأيت الى هذا التفكير وهذا المنطق ؟ . كيف يستخرج الشرك من التوحيد ، والكفر من الاسلام ، والالحاد من الايمان ؟ . لقد قال علماء البيان : ان الكلام يحتمل الصدق والكذب ، ولكن حيث يكون كل من الصدق والكذب ممكناً ، والكلام يتحملهما معاً ، أما حيث لا يمكن إلا الكذب ، بحيث لا يتأتى الصدق بحال ، مثل الموجود معدوم ، والعلم جهل ، والظلم عدل ، والليل نهار ، والحب بغض ، والامانة خيانة ، أما هذا الكلام ، وما اليه فهو لغو وهذيان .

وأيضاً قال ابن تيمية في كتاب «نقض المنطق» ص ٤٦ : «أو يقال هم ــ أي المتكلمون ــ لما فيهم من العلم يشبهون عبد الله بن أبي سرح الذي كان كاتب الوحي ، فارتد ، ولحق بالمشركين ، فأهدر النبي دمه عام الفتح» . وقال في ص ٨٨ : «وكذلك المتكلمون المخلطون الذين يكونون تارة مع المسلمين ، وان كان مبتدعين ــ يريد بالمبتدعين من لم يقولوا بقوله ــ وتارة مع الفلاسفة الصائبين ، وتارة مع الكفار المشركين» .

فأبو الحسن وأتباعه من المسلمين الذين يعدون بالملايين والغزالي والنوبختي ومحمد بن كرام ، والباقلاني ، وواصل بن عطاء ، والنظّام والرازي والايجي والجرجاني ، كل هؤلاء وأشياعهم ، ومن اليهم من أقطاب المسلمين مشركون مرتدون مبتدعون صائبون ، لا شيء إلا لانهم خالفوا ابن تيمية في رأي من آرائه ، وقول من أقواله .

ان علم الكلام هو المعرفة العقلية التي يبتني عليها الدين والعقيدة

الاسلامية ، فاذا كانت هذه المعرفة كفر وشرك ، و بدعة وضلالة فماذا يكون الدين والاسلام ؟ . واذا كان العلماء الكبار كالاشعري والغزالي ، واضرابهما مشركين ، فمن هو المسلم ــ ياترى ــ ؟!

ولا يقتصر و ينحصر تكفير ابن تيمية في العلماء ، فان كلامه صريح بتكفير كل من يعظم قبر الرسول و يصلي عنده ، و يقصده للزيارة ، و بديهة ان المسلمين جميعاً يعظمون القبر الشريف ، و يصلّون عنده ، و يقصدونه للزيارة ، قال في كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم) ص ٤٥٧ :

«قد زين الشيطان لكثير من الناس سوء عملهم ، واستزلهم عن اخلاص الدين لربهم الى أنواع من الشرك ، فيقصدون بالسفر والزيارة رضىً غير رضى الله ، والرغبة الى غيره ، و يشدون الرحال الى قبر نبي ، أو صاحب ، أو صالح ، أو من يظنون انه كذلك» . فزيارة قبر الرسول عند ابن تيمية غواية من الشيطان ، وضرب من الشرك ، حتى ولو قصد بها مرضاة الله وثوابه .

وقال في ص ٣٣٣ : «ان اللاّت ، وهي صنم ، كان سبب عبادتها تعظيم قبر رجل صالح» أي أن تعظيم قبر الرسول يستتبع جعله صنماً ، تماماً كاللات والعزى .

وقال في ص ٣٣٤ : «أما اذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الانبياء ، أو بعض الصالحين متبركاً بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله ، والمخالفة لدينه ، وابتداع دين لم يأذن الله به» فالصلاة لله عند قبر النبي بقصد التبرك بدعة ومحادة لله والرسول ، و بديهة ان المسلمين أجمعين يتبركون بالصلاة في البقعة المقدسة التي فيها الجسد الشريف .

وقال في ص ٤٠١ : «الاحاديث المروية في قبر النبي (ص) ،

كقوله : من زارني ، وزار أبي ابراهيم الخليل في عام ضمنت له على الله الجنة . ومن زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي . ومن حج ، ولم يزرني فقد جفاني ، ونحو هذه الاحاديث كلها مكذوبة موضوعة» . (١) .

فتعظيم قبر محمد (ص) يؤدي الى الشرك ، والصلاة عنده للتبرك بدعة ، وأحاديث زيارته مكذوبة وموضوعة .. فهل هذا من ابن تيمية تسامح ومحبة للمسلمين ، أو تحقيق وتدقيق ، أو احتياط وتورع ؟ . وهل في تكفيره الفرق الاسلامية دعوة انسانية ، وأخوة شاملة ؟ . ولماذا كل هذه اللهفة والتعطش للتكفير والتفسيق ؟ . أحباً بغرس الاضغان والاحقاد ، واثارة الفتن والإحن ؟ .. ان المصلح المفكر يهتم باسعاد الانسان وتخفيف آلامه وويلاته ، و يهتم ابن تيمية بتكفير الناس ، ورميهم بالشرك والزندقة ، حتى كأن التكفير والتفسيق مبدأه ومنهجه فيما يكتب ويحكم .. ولا أدري الى أيِّ شيء يهدف من وراء هذا التعصب والتشدد ؟ . هل يريد أن يوجد فئة تعظمه وتقدسه عن هذا الطريق ؟ . الله أعلم .

---

(١) روى أبو داود ، وهو أحد أصحاب الصحاح الستة عن النبي انه دعا الناس لزيارة قبره والسلام عليه .

المسلم والدولة الاسلامية

الدولة الاسلامية :

يتمنى كل مسلم يقول : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله أن تقوم دولة اسلامية قوية في بقعة من الارض ، أية بقعة ، تحكم باسم الاسلام ، وتأخذ بمبادئه وتعاليمه في جميع شؤونها ، غير خاضعة في شيء من تصرفاتها السياسية والثقافية والاقتصادية لاية سلطة من الخارج أو الداخل .

كل مسلم عربياً كان أو أعجمياً يتمنى قيام هذه الدولة و يشعر من الاعماق بالحاجة اليها .. ولو استطاع أن يخلقها خلقاً ، و يدفع ثمنها من دمه وأهله لفعل ، وضحى بكل عزيز ، لا لغاية اقتصادية ، ولا للمضاهاة والمباهاة ، لا لشيء إلا لاعزاز كلمة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

السعودية :

ورب قائل : ان هذه الدولة موجودة بالفعل ، وهي السعودية التي رسمت على علمها بالخط الطويل العريض كلمة لا إله إلا الله محمد

رسول الله ، وأعلنت على الملأ أن دستورها الوحيد هي الشريعة الاسلامية ، مع ان المسلمين في شرق الارض وغربها يتجاهلون وجودها ، ولا يشعرون نحوها بشيء مما ذكرت ، بل ان المسلمين كلهم أو جلهم يتمنون زوالها ، قال الشيخ أبو زهرة في كتاب «المذاهب الاسلامية» : ان أكثر المسلمين ينفرون من الوهابية أشد نفور .

الجـــواب :

أعتقد أن هذا القائل ـــ لو وجد ـــ فهو غير جاد في قوله إلا أن يكون أعمى القلب والعينين ، لان العبرة بالتنفيذ ، والعمل بما تمليه الشعارات ، لا بالشعارات ذاتها ، فكثيراً ما تأتي الشعارات للتغطية والتضليل ، وكلمة لا إله إلا الله عظيمة وقوية ، وحية نامية ، فيجب أن تستعمل فيما وضعت له ، أو فيما ينسجم معها انسجاماً حقيقياً ، حيث التقدم والازدهار ، والعدل والحرية والمساواة ، واجتناب المحرمات ، لا حيث البؤس المتراكم الى جانب الفسق والفجور ، وضروب الإسراف والتبذير على أسرّة الذهب والسيارات الفخمة ، والسهرات الحمر مع السمراوات والشقراوات .

واذا نظرنا الى المملكة السعودية فلا نجد جهة إلا وفيها الضعف والهزال ، والتأخر والانحطاط ، فأول ما يبدو للناظر في هذه المملكة التفاوت بين الناس ، وتفوق بعضهم على بعض بالمال والثراء ، وتحالف الاقوياء مع الرأسمالية الاجنبية ، لاحتكار الخيرات والموارد ، واستغلال المستضعفين ، وكبت الحرية ، والقضاء على الديمقراطية ، هذا ، الى الامية المتفشية والامراض المنتشرة ، والفقر الذي بلغ الغاية ، مع العلم انه قد مضى على قيام دولة الوهابية أربعون سنة ، وانها تسيطر على منابع البترول ، ومناجم الذهب وسائر المعادن ، وعلى الارباح من الحجاج

وغير الحجاج .. ولو أخذت السعودية بتعاليم الاسلام حقاً ، وعملت بأحكامه لما وجد في أرضها مريض ولا جاهل ولا بائس ، ولعمت العدالة والحرية والرفاهية ، وكانت المثل الاعلى للحضارة والتقدم ، وكلنا يعلم ان الله سبحانه حين قيض للاسلام حكاماً مخلصين التزموا بتعاليمه ، وساروا على هديه تغير مجرى التاريخ ، وخرج العالم من ظلمة الجهل والظلم الى نور العلم والعدل ، وأعطى الاسلام بفضل القائمين عليه أصدق مثال ، وأبلغ حجة على ان الدين هو المصدر الاول لخير الانسانية وسعادتها ، والعلاج الناجع لويلاتها وآلامها .

وبكلمة ان الاسلام ثورة على الجمود والانحطاط ، والظلم والمحاباة ، والطمع والجشع ، فاذا ما سادت الاوضاع الفاسدة في بقعة من الارض ، ورأى حكامها انهم أولى الناس بالمال والجاه والسلطان تأكدنا انه لا عين ولا أثر لمعنى الاسلام ، حتى ولو تستر ساداتها ومترفوها بمظاهره وشعائره ، تماماً كما هي الحال في المملكة العربية السعودية ، حيث تتسرب الملايين الى جيوب المسؤولين ، والشعب غارق في جهله ومرضه وفقره ، ولو كان الاسلام دين الدولة حقاً ، ودستورها الشريعة الاسلامية حقاً لكان هذا الدين وهذه الشريعة موضوع الرعاية والتطبيق على رجال الدولة قبل غيرهم . واذا ربح السعوديون المال والسلطان فإنهم قد خسروا ثقة المسلمين بهم في شرق الارض وغربها ، ومكانتهم الادبية بين الامم ، والنتيجة الحتمية لهذه الخسارة هي نتيجة النازية والفاشية بالذات .

الوهابية والخوارج :

كان الخوارج أكثر المسلمين عبادة ومحافظة على الصلاة ، حتى عُرفوا بأهل الجباه السود من كثرة السجود ، ومع ذلك كانوا لا يتورعون عن

سفك الدماء ، ونهب الاموال ، والاخلال بالامن .. سمع الصحابي عبادة بن قرط الاذان ، فقصده يريد الصلاة ، واذا هو بالخوارج . فقالوا : ما جاء بك ياعدو الله ؟ . قال : أنت أخوتي . قالوا : أنت أخو الشيطان ، لنقتلنك . قال : ألا ترضون مني بما رضي به رسول الله ؟ . قالوا : وأي شيء رضي به منك ؟ . قال : أتيته ، وأنا كافر ، فشهدت ان لا إله إلا الله ، وأنه رسول الله ، فخلى عني . فأخذوه فقتلوه .

وقطع الخوارج الطريق على العالم المعروف واصل بن عطاء ، ورفقة معه ، ولما أرادوا قتلهم لا لشيء إلا لانهم مسلمون قال لهم واصل : نحن مشركون ممن قال الله فيهم : وان أحد من المشركين استجارك فأجره . فنجوا ، ولكن بعد ان اعترفوا على أنفسهم بالشرك ، ولو قالوا للخوارج : نحن مسلمون ، وأخوتكم في الدين لقتلوهم كما قتلوا الصحابي عبادة .

ولا يختلف الوهابية عن الخوارج في هذا الصعيد ، أجل ، ان الوهابية لا يكفرون بعض الصحابة و يستحلون دماءهم كما هي الحال عند الخوارج ، ومهما يكن ، فان الاسلام في مفهوم الوهابية ضيق جداً ، بخاصة فيما يتعلق بالتوحيد ، فانهم يفسرونه تفسيراً ضيقاً لا ينطبق إلا عليهم وحدهم ، حيث يربطون به هدم القبور ، وما بني عليها من المساجد ، حتى قبر النبي ، وتحريم الصلاة والدعاء عندها ، ويحرمون زيارة قبر النبي ، والتبغ والتصوير الفوتغرافي ، وما الى ذاك ، أما وضع الستائر على الروضة الشريفة ، وقول المسلم سيدنا محمد ، وحق محمد ، و يامحمد فبدعة وضلالة .. هذا هو الاسلام في مفهومهم ، أما العلم وانتشار المعرفة ، والقضاء على الفقر والجهل ، أما عمارة الارض ، وصلاح المستضعفين فيها ، والنضال في مرافق الحياة للتخلص من الضعف وآثاره ، والتضامن والتعاون لايجاد وسائل العيش والهناء للجميع ، أما تجنب أسباب العداء والبغضاء ، وشعور الانسان اتجاه أخيه

الانسان ، أما هذه ، وما اليها فأمر ثانوي ، وشيء عرضي .

وليس من شك ان الاسلام لو وقف عند فهم الوهابية وتفكيرهم ، لما تقدم خطوة الى الامام ، ولما كان للمسلمين هذا التاريخ الخطير الشهير الذي أرغم الاجانب والأباعد على الاعتراف بأن رسالة محمد بن عبدالله هي أم الحضارة الحديثة ، لقد استيقظ العالم كله على مثل أعلى جديد ، وثار على القيود والتقاليد ، وآمن بأن الانسان لا يجوز أن يكون أداة لنجاح وسعادة انسان آخر إلا في السعودية حيث يعيش حكامها في قصور أسست على الشقاء والجهل والانحطاط .

الوهابية والحشوية :

الحشوية هم فرقة من المسلمين ، لها منهج خاص ، تخالف فيه المعتزلة والاشاعرة والامامية والمرجئة ، وهذا المنهج هو حصر العلم والمعرفة بظواهر الكتاب والسنة بنصهما الحرفي ، حتى ولو خالفت العقل ، ولم تتفق مع عظمة الله وجلاله ، وتنزيهه وكماله ، فالله سبحانه في عقيدة الحشوية له يدان ورجلان ، وعينان وأذنان ، و يقف ويجلس ويمشي ، و يضحك و يبكي ، و يصافح و يعانق ، و بكلمة ان الحشوية يرون العلم والمعرفة بالنقل والرواية ، لا بالتعقل والدراية ، وهم أشد الناس تعصباً ، فكل ما يرونه صواباً هو الصواب ، ومن خالفهم رموه بالكفر والزندقة .. قال الشيخ سليمان ابن عبدالوهاب أخو محمد عبدالوهاب في كتاب الصواعق الإلهية ص ٢٧ طبعة ١٣٠٦ هـ : «والله ما لعباد الله من ذنب إلا أنهم لم يتبعوكم ــ الخطاب للوهابيين ــ على تكفير من شهدت النصوص الصحيحة باسلامه ، وأجمع المسلمون على اسلامه» .

والوهابية هم الفرد الاكمل ، والنموذج الامثل للفئة القائلة بأن

الآيات والروايات تبقى على دلالتها الحرفية ، وان خالفت العقل ، وما تقتضيه أصول الدين .. قال الشيخ محمد عبده في كتاب «الاسلام والنصرانية» ص ٩٧ الطبعة الثامنة : «ان هذه الفئة أضيق عطناً ، وأحرج صدراً من المقلدين .. وانها ترى وجوب الاخذ بما يفهم من اللفظ الوارد والتقيد به بدون التفات الى ما تقتضيه الاصول التي قام عليها الدين» . وعلق رشيد رضا على هذا الكلام بقوله : «يعني بهذه الفئة أهل الحديث ، ومن يسمونهم بالوهابية» .

وفي الفصل الآتي يجد القاريء عرضاً مفصلاً لعقيدة الوهابية ، كما هي في الكتب المعتبرة عندهم ، ومنه يعلم جمودهم على الظاهر ، وقد اعتبروا التأو يل كفراً ، لانه يفضي الى تكذيب الله ورسوله .

عقيـــدة الوهـــابية

قلنا : ان الوهابية حشو ية أو أشبه بالحشو ية الذين يتمسكون بحرفية الالـفـاظ ، وان قـام ألـف دلـيل من العقل على المجاز والتأو يل ، وانهم يـضـيقون معنى الاسلام ، و يتوسعون في مفهوم الشرك ، بحيث لا يصدق التوحيد إلا عليهم ، واليك الدليل .

التوحيـد والشـــرك :

يـرى الـوهـابيـون ان جـميع المسلمين ـــ غيرهم ـــ قد فسروا التوحيد تفسيراً خاطئاً ، وفهموه فهماً لا ينطبق على الواقع ، ولا يخرجه عن حقيقة الشرك ، وعملوا بما فهموا .. إذن ، جميع المسلمين مشركون ، من حيث لا يريدون ولا يشعرون .

فـالانـسان عندهم لا يصير موحداً بمجرد أن يشهد و يعتقد بلا إله إلا الله محـمـد رسول الله «و بأن الله هو الخالق الرازق وحده ، لا شريك له ، وانـه لا يـرزق إلا هـو، ولا يـدبـر الامـر إلا هـو، و بـأن جـميع السموات

والارض ، ومن فيهن ، والارضين السبع ، ومن فيها ، كلهم عبيد ، وتحت تصرفه .. كل ذلك لا يفيد ، ولا يجعل الانسان موحداً ولا مسلماً .. وكما لا تنفع كلمة الشهادة كذلك لا تنفع كثرة العبادة ، ولا الايمان بأن محمداً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، ولا قول الانسان : أنا مذنب ، والانبياء لهم جاه عند الله ، وأتوسل بهم اليه تعالى ، كي يعفو و يصفح» (١)

كل ذلك ، وغير ذلك لا يجعل الانسان موحداً ولا مسلماً إلا أن يترك أموراً معينة .

« منها » : أن لا يتوسل الى الله بأحد أنبيائه وأوليائه ، فان فعل ، وقال ــ مثلاً ــ : يا الله أتوسل اليك بنبيك محمد أن ترحمني فقد سلك مسلك المشركين ، واعتقد ما اعتقدوا . (تطهير الاعتقاد ص ٣٦ الطبعة الاولى ، والرسائل العملية التسع ص ٤٥ وما بعدها طبعة ١٩٥٧) .

« ومنها » : أن لا يقصد قبر النبي للزيارة ، و يشد اليه الرحال ، وان لا يتمسح به ، ولا يمسه ، ولا يدعو الله و يصلي لله عنده ، ولا يقيم عليه بناء ولا مسجداً ، ولا ينذر له . (تطهير الاعتقاد ص ٣٠ و٤١ ، ونقض المنطق لابن تيمية ص ١٥ طبعة ١٩٥١ ، وفتح المجيد ص ٢٣٩ طبعة ١٩٥٧ ، واقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم لابن تيمية ص ٣٦٨ طبعة ١٩٥٠) . وفي صفحة ٤٠٤ من هذا الكتاب «وان كان المصلي لا يصلي إلا لله ، ولا يدعو إلا الله» فانه مشرك .

« ومنها » : أن لا يطلب الشفاعة من النبي ، لان الله ، وان

---

(١) رسالة التوحيد ، ورسالة هذه أربع قواعد ، ورسالة كشف الشبهات لمحمد عبد الوهاب ، وفتح المجيد لحفيده ، وتطهير الاعتقاد من أدران الالحاد للصنعاني وهو من أصح الكتب وأوثقها عند الوهابية ، وغير هذه الرسائل والمؤلفات من كتبهم المعتبرة .

أعطاها لمحمد (ص) وغيره من الانبياء ، ولكنه نهى عن طلبها منهم(١) ومن طلب الشفاعة من محمد كان كمن طلبها من الاصنام سواء بسواء . (الرسائل العملية التسع ص ١١٠ ، و١١٤) أرأيت الى هذا المنطق من يعظم الرسول لقربه من الله سبحانه كافر مشرك ، ومن يساويه بالاصنام التي حطمها الرسول مؤمن موحد ؟ .

«ومنها» : أن لا يحلف بالنبي ، ولا يناديه ، ولا ينعته بسيدنا ، كأن يقول : بحق محمد ، و يامحمد ، وسيدنا محمد ، بل الحلف بالنبي وغيره من المخلوقات هو الشرك الاكبر الموجب للخلود بالنار ، قال حفيد محمد عبدالوهاب في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٤١٤ طبعة ١٩٥٧ : قال ابن مسعود : «لان أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً» لان الحلف بالله كاذباً كبيرة من الكبائر ، ولكن الشرك ــ أي الحلف بغير الله ــ أكبر من الكبائر(٢) . فاذا كان هذا حال الشرك الاصغر فكيف بالشرك الاكبر الموجب للخلود بالنار» .

وقال السيد الامين في كتاب «كشف الارتياب» ص ١٢٧ الطبعة الثانية : «جاء في خلاصة الكلام صفحة ٢٣٠ : كان محمد عبدالوهاب يقول عن النبي (ص) : انه طارش ، وان بعض أتباع هذا الشيخ كان يقول : عصاي هذه خير من محمد ، لانه لا ينتفع بها في قتل الحية ، ومحمد قد مات ، ولم يبق فيه نفع ، وإنما هو طارش ومضى» .

هذا هو الكلام الذي يهتز منه العرش ، وتتفطر السماوات وتنشق

---

(١) يجوز للمسلم أن يقول : يا الله شفع في محمداً ، ولا يجوز أن يقول : يامحمد اشفع لي عند الله . (من منشور نشره الملك عبدالعزيز سنة ١٩٤٣) .

(٢) لم يجيزوا الحلف بغير الله ، ومع ذلك قالوا : لو حلف الرجل بطلاق زوجته صح ، وتطلق الزوجة .. اللهم إلا أن يقال : ان النهي في غير العبادة لا يدل على الفساد .

الارض ، وتخرُّ الجبال هدّاً .. واذا كانت العصا خيراً من محمد (ص) فلماذا يجب حبه وطاعته ، والايمان به ؟ . ولماذا نكرر الصلوات والتحيات عليه في الصلوات الخمس ، و يقرن اسمه باسم الله على المآذن والمنابر ، ويحتج بقوله في كل علم وفن ؟ . و بالتالي ، فأي معنى لقوله جل وعز : «لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ــ الفتح ٩ و١٠» !

وأيضاً أي معنى لقوله تعالى : «ان الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليماً» الاحزاب ٥٦ .

« ومنها » : أن لا يتطير ولا يتشاءم . (فتح المجيد ص ٣٠٥ وما بعدها) .

« ومنها » : أن لا يعمل عملاً للدنيا كالمدح والثناء . (فتح المجيد ص ٣٧٢ وما بعدها) .

ان ترك هذه الامور ، وما اليها يتصل اتصالاً وثيقاً بمفهوم التوحيد ، ومن فعلها فهو مشرك يحل دمه وماله وذراريه ، سواء أفعلها عن علم بتحريمها ، أو جهلاً واشتباهاً ، لان فعلها يفضي الى تكذيب الرسول ، وان لم يتعمد الفاعل منكراً . (الرسائل العملية التسع ص ٧٩) . وليس من شك انك قد لاحظت أيها القارىء انهم عدوا عدم زيارة النبي وطلب الشفاعة منه شرطاً في التوحيد ، ولم يعدوا قتل النفس المحترمة ولا الزنا ولا اكتناز الذهب من منافيات التوحيد والايمان .

---

(١) تعزروا النبي أي تنصرونه ، وتوقرونه أي تعظمونه ، وتسبحوه بكرة وأصيلا أي تذكرونه في تسبيحكم وصلواتكم بالتحيات .

و بعد ، فان ما ذكرناه من الشواهد والارقام يعطي الصورة الوافية للفهم الوهابي للتوحيد والاسلام ، والنزعة المتعصبة ضد الانسانية ، وضد رسالة محمد التي تنظر الى البشرية نظرة حب ورحمة تتسع للقريب والبعيد في كل عصر وجيل .

الوهابية أو السيف :

ان المبدأ الاول للوهابية ، وشعارهم الوحيد : «أما الوهابية ، وأما السيف» فمن اعتنقها سلم ، ومن أبى أبيح دمه ، وذبحت أطفاله ، ونهبت أمواله ، ومحال أن ينظر الوهابي الى غيره إلا بهذه العين المكفرة المستحلة للارواح والاموال .. قال الشيخ سليمان عبدالوهاب أخو محمد عبدالوهاب في كتاب «الصواعق الإلهية» ص ٢٧ و٢٩ طبعة ١٣٠٦ هـ مخاطباً الوهابية : «فأنتم تكفرون بأقل القليل من الكفر ، بل تكفرون بما تظنون أنتم انه كفر ، بل تكفّرون بصريح الاسلام ، بل تكفّرون من توقف عن تكفير من كفرتموه» .

ولندع جميع ما قيل عن الوهابية ، وننظر الى كتبهم ، وما خطوه بأيديهم ، كما قلنا فيما تقدم ، قال محمد عبدالوهاب مؤسس مذهب الوهابية في رسالة «كشف الشبهات» المطبوعة مع غيرها في كتاب الرسائل العملية التسع ص ١٢٣ طبعة ١٩٥٧ : «ولا تنفعهم لا إله إلا الله ، ولا كثرة العبادات ، ولا ادعاء الاسلام لما ظهر منهم من مخالفة الشرع» .

هكذا ينبغي أن تكون الاخوة والمحبة والرحمة .. لله درك أيها الشيخ لقد مثلت التسامح الاسلامي ، حتى كدنا نتوهم ان هذه الآية : «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» نزلت فيك .. أستغفر الله .

وقال في صفحة ١١٠ : «وان قالوا : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد

أنه لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا ينفع ، ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً رسول الله لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، ولكن الصالحين لهم جاه عند الله ، وأنا أطلب من الله بهم ، فجاو به ان الذين قاتلهم رسول الله مقرون بما ذكرت ، ومقرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً ، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة» . أي ان من يطلب الشفاعة من محمد تماماً كمن يطلبها من الاوثان سواء بسواء .. هذا هو التحقيق الدقيق ، ،الايمان العميق ..

وأيضاً قال محمد عبد الوهاب مؤسس المذهب في ص ١١٧ و١١٨ : «واذا قالوا : نحن نشهد ان لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله ، ونصدق القرآن ، ونؤمن بالبعث ، ونصلي ونصوم ، فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟ . فالجواب ان الرجل اذا صدق رسول الله في شيء ، وكذبه في شيء فهو كافر لم يدخل في الاسلام» .

وهكذا يُدخل هذا الشيخ في كفره من يشاء ، ويخرج من الاسلام من يشاء ، حتى كأن الله سبحانه قد جعل في يده ايمان العباد وعقيدتهم ، لا في قلوبهم وعقولهم .. ولا أدري ماذا أراد بقوله : اذا صدق الرجل محمداً في شيء ، وكذبه في شيء فهو كافر .. لان من صدّق رسالة محمد يصدقه في كل شيء ، لا في شيء دون شيء .. وقد أدرك هذه الحقيقة مشركو قريش حين كتب النبي في صلح الحديبية : «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله» فقال له المشركون : لئن كنت رسول الله ، ثم قاتلناك ، فقد ظلمناك . أدرك هذه الحقيقة المشركون ، ولم يدركها محمد عبد الوهاب .. لماذا ؟ لانه هو قد آمن ببعض ما جاء به محمد ، وكفر ببعض ..

وجاء في كتاب تطهير الاعتقاد ص ٣٥ و٣٦ : «يجب أن يدعى هؤلاء الى التوبة ، والرجوع الى التوحيد ــ أي الى الوهابية ــ فمن رجع منهم حقن دمه وماله وذراريه ، ومن أصر أباح الله منه ما أباح لرسول

الله من المشركين» .

وفي كتاب فتح المجيد ص ٤٩١ : القتل لمن عاند ولم يتب من الخوارج والقدرية .. عجيب أمر هؤلاء الوهابية .. يبيحون الدماء ، حتى كأنها شربة ماء .. «ومن أصر أباح الله دمه وماله وذراريه» ولا أدري : هل هذا تقى وزهد ، أو فهم ووعي ، أو حب وتسامح ، أو نتيجة طبيعية لحقدهم على البشرية بعامة ، والمسلمين بخاصة ، أو أنهم طبيعة أخرى منفصلة عن الانسان وحقيقته ؟ ..

وفي صفحة ٤٠ و ٤١ من هذا الكتاب : «اذا قال الكافر: لا إله إلا الله حقن دمه وماله ، حتى يثبت العكس ، أما غيرهم ــ أي المسلمون ــ فلا تنفعهم كلمة لا إله إلا الله كما انها لم تنفع الخوارج على عبادتهم .. فثبت ان مجرد كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها ، لارتكابه ما يخالفها» أرأيت الى هذا المنطق ، كلمة التوحيد تنفع الكافر ، حتى يثبت العكس .

ولا تنفع المسلم بحال ؟ ، وإنما الذي ينفع الاساءة الى الله في عرشه ، والى محمد في قبره ، الذي ينفع هدم قبور آل الرسول ، وتشبيهه بالعصا والاوثان .. والذي يجدي هو إباحة الدماء ، وسبي النساء ، ونهب الاموال ، واشاعة الخوف والفوضى ، والفساد في الارض باسم الدين والسماء ، قال الله جل وعز :

«ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة» .

وقال الوهابية : بل تباح دماؤهم وتسبى ذراريهم وتنهب أموالهم ..

و بعد ، فهل من شاهد أصدق من هذا على ان مبدأهم وشعارهم : «الوهابية ، أو السيف للرجال والنساء والاطفال ، والنهب للاموال» ؟ ..

يقول الشيوعيون : «ان الدين هو التميمة السماوية لمجتمع جاهل

مضطهد ، يحتفظ مع ذلك بشيء من سوء النية ، ثم يبرر الشر والفساد بالوحي من السماء»

وهذا القول لا ينطبق على أية عقيدة دينية إلا عقيدة الوهابية .

حرية العقيدة :

ان عقيدة الوهابية تحتم الضغط على كل انسان ، بخاصة المسلم وأن يترك رأيه الى رأيهم ، واجتهاده الى فهمهم ، وإلا حل ماله ، واستبيح دمه ، ودم أهله وعياله ــ الوهابية أو السيف ــ . وقد نصت المادة الثامنة عشرة من قانون حقوق الانسان الذي أقرته الجمعية العامة في الامم المتحدة ، نصت هذه المادة على ان «لكل انسان الحق في حرية الدين والعقيدة ، والتعبير عنهما بالقول والفعل» .

وسواء أقرت الامم المتحدة هذا الحق ، أم أنكرته ، فان الحرية تتصل بانسانية الانسان ، وطبيعته مباشرة ، فحرمانه منها معناه حرمانه من حياته واصل وجوده .. ولذا حرص الاسلام عليها ، ولم يدع وسيلة لاحد من وسائل الضغط والاجبار على الايمان بشيء لم يصل اليه بقلبه ، ولا بعقله .

لذا دعا الى النظر المستقل والتفكير الحر ،قال عز من قائل : «أنظروا ماذا في السموات والارض .. وفي أنفسكم أفلا تبصرون .. قل سيروا في الارض ثم أنظروا كيف كان عاقبة المكذبين .. لا إكراه في الدين .. لست عليهم بمسيطر ..» .

الى غير ذلك من عشرات الآيات ، ولا شيء أصرح وأوضح في الدلالة على ان أساس الاسلام هو النظر لا التقليد ، وان دعوته تقوم على العقل والفطرة لا السيف والرمح من قوله : «لا اكراه في الدين» . هذا هو الحق والعدل ، وهذا هو الوجدان والعقل ، فما دمت لا ترضى بأن

يكرهك أحد على دينه ، فكيف تكرهه أنت على دينك ؟ .. حتى الله تبارك وتعالى لم يحمل الناس قسراً على طاعته وعبادته ، «ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ــ الانعام ١١٢» واذا عطفنا هذه الآية على آية لا اكراه في الدين ، وآية لست عليهم بمسيطر ، وآية وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، اذا عطفنا هذه الآيات وما اليها بعضها على بعض علمنا ان قول الرسول : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله .. المراد منه الذين يقاتلونه ، و يسعون في الارض فساداً ، و يؤكد هذا المعنى الآية ١٩٣ من سورة البقرة : «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة» بل ان القرآن رخص للمسلمين أن يحسنوا و يكرموا من لم يقاتلهم في الدين ، ولم يعتد على الارواح والاموال : «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين» الممتحنة ٨ .

الشـــرك :

من تحصيل الحاصل ، وتوضيح الواضح القول : ان الشرك هو أن يدعو الانسان مع الله إلهاً آخر ، بحيث اذا قيل له : لا إله إلا الله نفر واستكبر ، كما في الآية ٣٥ من الصافات : «انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون» والآية ٥ من سورة ص : «اجعل الآلهة إلهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب» . وذكرنا في فصل المسلم والكافر طرفاً من الاحاديث فلا نعيد .

فأين الاحراز والتمائم ، واستعمال الرقى والتعاو يذ والتطير والتشاؤم ، وزيارة القبور والصلاة عندها ، والتمسح بها ، والتعمير عليها ، والحلف بغير الله ، وما الى ذاك مما كفّر الوهابيون به جميع المسلمين ؟ ..

وعلى افتراض ان هذه الامور من المحرمات فإنها من الفروع التي لا تمت الى التوحيد والاصول بسبب قريب ولا بعيد ، وفعلها لا يوجب الكفر ولا الارتداد ، بل ولا الحد ، ولو أوجب الكفر لما وجد على وجه الارض مسلم .

والآن نوجه هذه الاسئلة الى الوهابيين : قلتم : أن تعمير القبور والتمسح بها ، والطواف حولها ، والصلاة لله عندها شرك ، بل قلتم : ان من شك وتوقف عن تكفير من كفرتم فهو كافر ، وان لم يتعمد المنكر ، بل توقف تورعاً واحتياطاً .. ولم يستثنوا قبراً واحداً من وجوب الهدم ، حتى قبر الرسول الاعظم (ص) .. إذن ، لماذا هدمتم قبور الائمة الاطهار في البقيع ، وتركتم قبره الشريف ؟ . لماذا وقفتم «بالاصلاح» في منتصف الطريق ؟ .. يقول حفيد محمد عبدالوهاب في فتح المجيد ٢٤٢ : «ان عكوف الناس على قبور الانبياء أعظم ، واتخاذها مساجد أشد» . وعليه فقبر الرسول أولى بالهدم ، لانه الاصل ، وقبور الآل فرع . ثم لماذا تمنعون الناس من التمسح بقبره ، وتحيطونه بسياج من الشرطة يمنعونهم من الدنو منه ، وتدعونهم يطوفون حوله ، مادام كل من التمسح والطواف محرماً ، وربما كان الطواف أشد ؟ .

ثم ان مسجد الرسول الحالي قائم على قبره وقبر أبي بكر وعمر ، أو ان جزءاً منه قائم على هذه القبور ، فان الوليد بن عبدالملك هدم المسجد الذي كان على عهد الرسول ، وأدخل فيه بيوت أزواجه ، ومنها بيت عائشة الذي فيه القبور الثلاثة ، فصارت هذه القبور ضمن المسجد الموجود الآن ، إذن ، القسم الذي ضم هذه القبور ليس جزءاً من مسجد الرسول ، لانه قد حدث بعده ، وعلى مذهبكم يجب هدم هذا الجزء الحادث ، مع انكم تقيمون الصلاة جماعة في تمام المسجد الحالي ، أي ان كثيراً من المؤتمين بكم يصلون في الجزء الحادث الذي فيه القبور ، وقد

صرح أئمتكم بأنه لا تجوز الصلاة في مسجد بُني على قبر، لان ذلك يفضي الى الشرك الى حد تعبير ابن تيمية في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٠٤، بل لا تجوز الصلاة فريضة في مسجد بُني بين القبور، لا عليها كما قال حفيد محمد عبدالوهاب في فتح المجيد ص ٢٤٣. واذا لم تجز الصلاة في مسجد بين القبور، فكيف فسحتم المجال لمن يأتم بكم في مسجد، أو في جزء من مسجد توجد القبور في قلبه ووسطه، ومع ان ذلك يفضي الى الشرك بزعمكم ؟.. وأي فرق بين ان تصلوا أنتم في هذا الجزء، أو ترضوا بالصلاة فيه، بل تكونوا أئمة لمن صلى فيه ؟.. أليس معنى هذا انكم من الذين يقولون ما لا يفعلون، و يفعلون ما ينكرون، و يكفرون الناس بما يرتكبون ؟..

وكل شيء جائز على منطق الوهابيين .. عباقرة تكفير الامة .. ونوابغ تشتيت شملها، وتفتيت وحدتها .. وسؤال آخر لا أخير نوجهه اليكم ــ أيها الوهابيون ــ نوجهه للاستفهام لا للتعجيز، ولتقارنوا وتوازنوا بين آرائكم بعضها من بعض، وهذا هو السؤال : هل عمارة القبور واقامة المساجد عليها أعظم إثماً عند الله، أو تكفير من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله، واباحة دمه وماله وذراريه ؟.

و بالتالي، فان المسلمين إذ يعظمون النبي، و يتوسلون به الى الله، و يطلبون منه الشفاعة فانما يفعلون من باب انه وسيلة لا غاية، وطريق لا هدف، و بهذا يحصل التوازن والتعادل بين الايمان بالله كمبدىء الخلق ومعيده، و بين الايمان بمحمد كنبي مقرب، وشفيع مشفع.

الشيعة والمناجاة عند قبور الائمة :

لو أطلع الوهابيون على ما يدعو به الشيعة عند قبور أئمتهم لادركوا ان زيارتهم لها هي التوحيد في واقعه، والاخلاص في حقيقته، لو سمع

الوهابيون تلك الاصوات ، ووعوا تلك الكلمات التي تتردد حول قبر أميرالمؤمنين علي ، وولده الامام الحسين لتأكدوا انها عين التنزيه عن الشرك ، ونفس الايمان بالله وحده . وإليك أمثلة من ذاك الكلم الطيب :

فمن أدعية الصحيفة السجادية التي يرددها الشيعة صباح مساء عند قبور الائمة الاطهار وفي كل مكان : «الهي من حاول سد حاجته من عندك فقد طلب حاجته في مظانها ، وأتى طلبته من جهتها ، ومن توجه بحاجته الى أحد من خلقك ، أو جعل سبب نجحها دونك فقد تعرض للحرمان ، واستحق من عندك فوات الاحسان» .

ومن دعاء آخر : «الهي لا تخيب من لا يجد مطمعاً غيرك ، ولا تخذل من لا يستغنى عنك بأحد دونك» .

ومن دعاء ثالث : «اللهم ان صرفت عني وجهك الكريم ، أو منعتني فضلك الجسيم ، أو حظرت عليّ رزقك ، أو قطعت عني سببك لم أجد السبيل الى شيء من أملي غيرك ، ولم أقدر على ما عندك بمعونة سواك» .

ومن رابع : «إلهي خاب الوافدون على غيرك ، وخسر المتعرضون إلا لك ، وضاع الملمون إلا بك ، وأجدب المنتجعون إلا من انتجع فضلك» . ومن خامس : «تباركت وتعاليت لا إله إلا أنت صدقتُ رسلك ، وآمنت بكتابك ، وكفرت بكل معبود سواك ، و برئت ممن عبد غيرك» الى ما لا يحصى من هذا التنزيه عن كل شبيه .

فأين عبادة الوهابيين ، وتوحيد المكفرين من هذا الاعتصام والانقطاع والزهد ، والتنزيه النزيه ، والعبادة التقية النقية ؟ . وهل ينطق بهذا إلا من سما عقله ، وصفا قلبه ، واختلط التوحيد بلحمه ودمه ؟ . هل يصدر هذا الكلم الطيب عن نفس فيها شائبة لغير الواحد الاحد ؟ . وهل من عبادة تستهدف العلي الاعلى كما تستهدفه هذه

المناجاة : «خاب الوافدون على غيرك ، وأجدب المنتجعون إلا من انتجع فضلك» ؟ . وهل يصدق و ينطبق على من اعتصم بالله بهذه العبادة والمناجاة ، هل ينطبق عليه قول ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٩١ «ان الرافضة أبعد الناس عن التوحيد» وقول محمد عبد الوهاب في كتاب التوحيد وشرحه فتح المجيد ص ٢٤٣ : «و بسبب الرافضة حدث الشرك» ، وقول الصنعاني في تطهير الاعتقاد ص ٣١ : «يطلبون من الميت ما لا يطلب إلا من الله» ؟ .

ان الشيعة لا يزورون أئمة البقيع إلا ليرددوا هذه المناجاة التي ناجى بها الامام زينُ العابدين العليمَ القدير ، ولا يزورون مقام علي أميرالمؤمنين إلا لتمتلىء نفوسهم بقوله : «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم» . ولا يزورون مشهد والده سيد الشهداء في كربلاء إلا لينقطعوا الى الله ، و يعرضوا عن كل ما سواه من مال وجاه وحطام مخاطبين الله بقول أبي عبدالله الحسين «ماذا وجد من فقدك ؟ . وما الذي فقد من وجدك ؟» .

فأين الشرك والالحاد الذي زعم الوهابيون ان زيارة القبور تفضي اليه ؟ . .

كلا ، لا شرك في زيارة قبر الرسول وآله ، وإنما الشرك فيما قاله الصنعاني في آخر كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد وهذا نصه بالحرف : «السحر أمر مقطوع به ، وله تأثير عظيم في الافعال ، كان في الهند رجل يقطّع الولد عضواً عضواً ، و يرمي بكل عضو الى جهة ، ثم يرد الاعضاء ، و يعود الولد حياً ، وكان في العراق رجل يفصل رأس الانسان عن جسده ، ثم يرده كما كان ، وكانت في القديم امرأة تلقي القمح في الارض ، وتقول له : اطلع فيطلع ، ثم تقول له : ايبس فيبس ، ثم تقول له ، أطحن ، فيصير طحيناً ، ثم تقول له : أخبز ، فيصير خبزاً ، وكانت لا

تريد شيئاً إلا كان»(١) .

يعتقد الوهابية ان الساحر المنافق المشعوذ يقول للشيء كن فيكون ، تماماً كرب العزة ، ومع ذلك هم وحدهم المؤمنون الموحدون ، أما من يتقرب الى الله بزيارة قبر الرسول ، وآله الكرام فمشرك ..

بقيت ملحوظة ، وهي ان التوحيد الحق ، والاخلاص لله في العبادة إنما يتحققان ، و يوجدان ، حيث توجد العدالة الاجتماعية ، وحيث يعمل الانسان لعون أخيه الانسان ، ويحب له ما يحبه لنفسه ، أما حيث يعيش هو في الترف والبذخ ، و يغرق أخوه بالشقاء والمحن ، فلا توحيد ، ولا ايمان ، ولا اسلام ، بل رياء ونفاق ، وفساد وضلال .

ملحوظة ثانية : لقد هدم السعوديون قبور آل الرسول ، ومع ذلك بقيت السعودية تسير في مؤخرة الركب في شتى الميادين ، ولم تتقدم خطوة الى الامام .. إذن ، سر التأخر والتقهقر لا يكمن في تعمير القبور ، ولا في اقامة المساجد عليها ، بل السر كل السر يكمن في الجهل وفساد الاوضاع ، وفي الدكتاتورية والاسراف ، وفي الافكار الضيقة المغلقة التي لا تتفتح لثمرات المعقول .

ملحوظة ثالثة : لقد غالى الخوارج بتكفير من كفروا ، وغالى من أحرقهم الامام في تأليهه ، وغالى الوهابيون في تكفير الامة .. و بديهة ان الغلو لعنة وطغيان يفسد العقيدة و يضلل العقل ، بل و يفسد الحياة ، لانها لا تقوم على الجذب وحده ، ولا على الدفع وحده ، بل على التعادل بينهما والتوازن ، وكذلك تكفير المسلم فساد ، وتأليهه أفسد ، والعدل هو

---

(١) حين اجتمعت برئيس قضاة الوهابية في مكة الشيخ سليمان بن عبيد قلت له : سأكتب عن عقيدتكم ، فأرشدني الى الكتب المعتبرة عندكم . فأسمى لي عدداً ، منها تطهير الاعتقاد للصنعاني . فلزمتهم الحجة إذن .

الوسط .

ملحوظة رابعة : أوجبوا هدم القبور ، وحرموا الخروج على الحاكم الجائر ، والمستبد الفاسد وأوجبوا طاعته والاستماع له .

وملحوظة خامسة : أي فرق بين من يكتب وثيقة بحرمان الانسان من الدين ورحمة الله ، كما تفعل الكنيسة ، و بين من يصدر حكمه عليه بالتكفير ؟ . وأيهما أسوأ وأفظع ؟ .

تدرأ الحدود بالشبهات :

من المعلوم بنص الكتاب والسنة ، و بالاجماع ، وضرورة العقل ، و باتفاق الشرائع قديمها وحديثها ان كلاً من الجهل والخطأ والنسيان والاكراه عذر تحقن معه الدماء ، وتحفظ الارواح ، وان من خالف بسبب من هذه الاسباب لا يكون كافراً ولا مرتداً ، حتى ولو حصل منه ذلك عن تفريط وتقصير فيما يعود الى الفروع ، وإن كان آثماً ، لترك التحفظ ، وما وجب عليه من البحث والاحتراز ، بل حتى لو ثبت الحكم الفرعي بدليل قاطع وإجماع جامع ، وعلم بضرورة الدين والمذهب ، اذا كان الجهل والالتباس ممكناً في حقه ، وجائزاً على مثله ، ومن هنا كان علماء المسلمين ، وما زالوا يختلفون ، ويخطىء بعضهم بعضاً بدون تكفير ، وإن منهم من خالف المذاهب الاربعة مجتمعة ، ومع ذلك لم يكفره أحد .

بل ان كل فرقة من فرق المسلمين التي بلغت ثلاثاً وسبعين ، كما جاء في الحديث ، ان كل واحدة من هذه الفرق تدعي انها هي الناجية دون غيرها ، وان الاثنتين والسبعين هالكة غداً قضها وقضيضها الا هي ، ومع ذلك لم تحكم عليها بالكفر ، ولم تبح قطرة واحدة من دمائها ، أو تستحل عقالاً من مالها ، مادامت تقول : لا إله إلا الله محمد

رسول الله غير معاندة ، ولا جاحدة لما ثبت عندها ، ولم تقم لديها الحجة بصدوره عن الرسول الاعظم ، و بهذا يتبين ان أمة محمد مجمعة على أن الارتداد لا يتحقق ، ولن يتحقق إلا ممن أيقن وتيقن بصدور الحكم عن صاحب الشرع ، ثم جحده عناداً أو وتعصباً .

أما من رأى المحرم مباحاً لشبهة ، ولو ضعيفة ، دخلت عليه ، لعدم وصول النص اليه ، أو لإجماله ، أو معارضته بغيره ، أو لاشتباه الموضوع في الخارج ، أو لمرض في فهمه ، أما هذا فمعذور بالجهل ، كما ان المخطىء معذور بالخطأ ، والمكرَه بالاكراه ، بل ومأجور أيضاً اذا بحث واجتهد .

ومعلوم ان الذين أباحوا البناء على القبور ، وزيارتها ، والصلاة لله عندها لم يثبت التحريم عندهم ، بل ثبت الجواز بل الرجحان ، وعليه يكون الحكم عليهم بالكفر هو الكفر بعينه ، فلقد جاء في البخاري ومسلم ان النبي (ص) قال : لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه ، ان لم يكن صاحبها ، وان من قذف مؤمناً بالكفر فهو كمن قتله .

صفات الله :

يجمد الوهابيون على ظاهر نصوص الكتاب والسنة في صفات الله سبحانه ، ولم يجيزوا تفسير الظواهر وتأو يلها بغير ما دلت عليه الصورة الحرفية ، بل يعتبرون التأو يل كفر ، لانه كذب على الله والرسول ، و يرون الله باثبات اليد له والرجل ، والكف والاصابع ، والنفس والوجه ، والعين والسمع ، والجلوس والوقوف ، والضحك والتكلم ، والوجود في السماء ، وما الى هذه من الصفات التي وصف الله بها نفسه ، أو جاءت على لسان نبيه من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تأو يل بما يخالف ظاهرها ، ولا تشبيه بصفات المخلوقين .

واستدلوا على اليدين بقوله تعالى : «بل يداه مبسوطتان» وعلى العينين أو العيون : «واصنع الفلك بأعيننا» . وعلى الجلوس : «ثم استوى على العرش» . وعلى الوجود في السماء : «أأمنتم من في السماء» . وعلى الوجه : «فثم وجه الله» . وعلى السمع والعين : «هو السميع البصير» . وعلى النظر اليه : «وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة» . وعلى السير والمجيء : «وجاء ربك والملك صفاً صفا» . وعلى النفس «تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك» . وعلى الضحك بما رواه ابن تيمية في كتاب الايمان ص ٢٣٠ : «ان الله ضحك الى رجلين ، يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة .. وأيضاً قد ضحك حين دخل آخر رجل الى الجنة ، فقال له الرجل : أتسخر بي ، وأنت رب العالمين ؟ .» .

واستدلوا على الرجل بما رواه ابن تيمية أيضاً في الرسالة الواسطية الموجودة في كتاب الرسائل التسع ص ١٣٦ : «لا تزال جهنم يلقى فيها ، وهي تقول : هل من مزيد ؟ . حتى يضع رب العزة فيها رجله ، فينزوي بعضها الى بعض ، وتقول : قط قط» .

واستدلوا على وجود الاصابع بما رواه محمد عبدالوهاب في آخر كتاب التوحيد : «ان الله جعل السموات على أصبع من أصابعه ، والارض على أصبع ، والشجر على اصبع ، والثرى على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع .. ثم اعتز الله وافتخر ، وقال : أنا الملك ، أنا الله . أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ . فالله يحمل السموات السبع والارضين السبع في يده ، وهي فيها كحبة خردل في يد أحدنا ، وهذا معنى قوله تعالى : «والارض جميعاً في قبضته يوم القيامة» .

ملاحظـــة :

و يـلاحـظ أولاً : ان المـعـروف مـن طـريقة العرب انهم يستعملون الالـفـاظ في مـعـانـيها المجازية أكثر مما يستعملونها في المعاني الحقيقية ، ومـن المـعـلـوم بـالـبـديـهـة ان الـكتاب والسنة منزلان على كلام العرب وطـريـقـتـهـم في الخطابات والمحاورات : «انا أنزلناه قرآناً عر بياً لعلكم تعقلون» .. واذا أبقينا جميع ألفاظ الكتاب على ظاهرها فبماذا نفسر قوله تعالى : «واسأل القرية التي كنا فيها والعير» وقوله : «واسأل من أرسلنا قـبـلـك مـن رسـلـنـا ؟ هل نفسره بأن المطلوب توجيه السؤال الى الحيوان والاحجار والاموات ؟ . واذا ساغ لنا تفسير هذه الآية تبعاً للواقع بالمعاني المجـازيـة الـتـي لـم تدل عليها الصورة اللفظية ، والدلالة المطابقة . جاز ذلـك في غـيـرها تبعاً للواقع ، والفرق تحكُّم ، وما أوسع هذا الباب وأكثر هذا النوع في كلام الله ورسوله .

ثـانـيـاً : ان الوهابية ومـن اليهم وقعوا في أشد مما فروا منه ، لقد فروا مـن الـتـأو يل ، فوقعوا في الاسراف والتعسف ، وهر بوا من القول بالرأي الى الـقـول بـالـجـهـل ، والـرجـم بـالـغـيب .. ذلك انهم زعموا ان يد الله وكـفـه ، وعينه وأذنه الخ لا تشبه أعضاءنا هذه في شيء فراراً من مشكلة الـتـشـبيه ، و بديهة ان اليد ظاهرة في هذا العضو المعروف ، وهو لا ينفك عـن المادة بحال ، وكذلك العين والسمع ، وما اليهما ، فان أبقينا اللفظ على ظـاهره يلزم أن يكون الله جسماً ، كسائر الاجسام ، وهم لا يلتزمون به ، وإن صرفناه الى غير هذه اليد والعين والسمع يلزم التأو يل ، وقد فروا مـنـه ، وإن حـمـلـنـاه على معنى مجهول عند السامع والمخاطب ، وذلك بأن تـكـون لـه يـد لا كـالايـدي ، وعين لا كالاعين على حد تعبيرهم وقعوا في الـتـعـسـف ، وهـو أشـد سوءاً من التأو يل ، و بكلمة ان أبقوا اللفظ على

ظاهره جاءت مشكلة التجسيم ، وان حملوه على معنى مجهول جاء التعسف ..

فتعين تأويل اللفظ تأويلاً معقولاً بحمله على معنى يتلاءم مع جلال الله وعظمته على أن تتحمله الصورة اللفظية ، ولا يأباه الذوق السليم ، كحمل اليد على القدرة ، لانها مظهر لها ، والسمع والبصر على العلم ، لانهما سبيل اليه ، وحمل الوجه على الظهور ، لانه المعنى البارز ، والاستواء على الاستيلاء ، ورؤية الله على رؤيته بالبصيرة لا بالبصر ، لان كلا منهما طريق الى المعرفة ، الى آخر ما ذكره المفسرون وعلماء المعاني والبيان .

تذكرت الآن ما نقل عن بعض المستشرقين من انه ترجم اللباس «بالبنطلون» في قوله تعالى : «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» .

ومهما يكن ، فاذا خالفنا الوهابية في عدم جواز التأويل من حيث هو ، وقلنا به حيث تدعو الحاجة اليه فإنا نتفق معهم كل الاتفاق في السكوت والاعراض عن النزاع القائم بين الاشاعرة والمعتزلة من ان صفات الباري : هل هي عين ذاته أو غيرها ، لان هذا النزاع يرجع في حقيقته الى النزاع في ذات الباري جل وعلا ، وهذا موضوع شائك جداً أحجم عنه الانبياء والمرسلون ، قال علي أميرالمؤمنين : «تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذات الله .» نقول هذا مع العلم بأن قول الوهابية ومن اليهم يلتقي مع قول الاشاعرة بأن الصفات غير الذات ، إلا أنهم قد أحسنوا بالسكوت عن ذلك .

الايمان بالقدر :

الايمان بالقدر هو الاعتقاد بأن الخير والشر من الله ، و يعد الوهابية هذا الاصل من أصول الاسول ، وهي عندهم ستة ، شهادة لا إله إلا الله

وأن محمداً رسول الله ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت على المستطيع ، والايمان بالقدر خيره وشره . وعليه يكون الانسان مسيراً غير مخير.

وقال ابن تيمية في رسالة العقيدة الواسطية ص ١٤٤ من الرسائل التسع : «العباد فاعلون حقيقة ، والله خلق أفعالهم .. وللعباد قدرة على أعمالهم ، ولهم ارادة ، والله خلقهم ، وخالق قدرتهم وارادتهم ، ومع ذلك فقد أمرهم بالطاعة ، ونهاهم عن المعصية» .

وقد حاولت كثيراً ، وفكرت أكثر لافهم وأهضم هذا الكلام فلم أستطع له فهماً ولا هضماً لمكان التناقض والتضارب ، فإن كلام ابن تيمية ظاهر في أن الله خالق أفعال الانسان ، وغير خالقها ، والانسان موجود لافعاله ، وغير موجدها اللهم إلا أن يقال : انهما اشتركا في الخلق والايجاد ، وحينئذ يأتي اشكال ان أحد الشريكين اذا كان أقوى من الآخر قبح ان يعاقب الضعيف فيما اشتركا فيه .

والحق في هذه المسألة التي شغلت الاولين والآخرين ما قاله الامام جعفر الصادق ، وعبر عنه بقوله : «لا جبر ولا تفويض ، وإنما أمر بين الامرين» و يتلخص معنى هذه الجملة الكبيرة في معناها ، الصغيرة في مبناها ان الله سبحانه أقدر العبد على فعل الخير والشر ، ثم أمره بالاول ، ونهاه عن الثاني ، فان اختار العبد فعل الخير ، وآثره على الشر يُنسب فعله هذا الى الله ، لانه رضي به ، وأيضاً يُنسب الى العبد ، لانه آثره على الشر ، وترك المعصية مع قدرته عليها ، أما إن اختار العبد فعل الشر ، وفضله على الخير فينسب اليه وحده ، لانه قد ترك الخير مع قدرته على فعله ، وفعل الشر مع قدرته على تركه ، ولا ينسب الى الله ، لانه نهى عنه ، ولم يرض به بحال ، وعليه يكون الخير من الله والعبد ، أما الشر فمن العبد وحده .

وان قال قائل : لماذا أقدر الله عبده على الشر مادام لا يريده منه ؟ . قلنا في جوابه : لو ان الله سبحانه أقدر عبده على الخير فقط لكان مجبراً عليه ، وكان الفعل بالنسبة اليه كالثمر على الشجر ، والله سبحانه يريد الطاعة من عباده اختياراً ، لا قهراً عنهم .

ولتتضح الفكرة أكثر نذكر هذا المثال : والد أعطى ولده ديناراً ، وأمره أن يشتري به كتاباً ، ولا يشرب به خمراً ، فامتثل الولد ، واشترى الكتاب ، فشراء الكتاب ينسب الى الوالد ، لانه أقدر الولد عليه ، ورضي به ، وأيضاً ينسب الى الولد ، لانه ترك شرب الخمر مع قدرته على فعله واشترى الكتاب مع قدرته على تركه ، أما شرب الخمر فينسب الى الولد فقط ، لانه ترك ما أمر به مع قدرته على فعله ، وفعل ما نُهي عنه مع قدرته على تركه ، ولا ينسب الى الوالد ، لانه لم يرض به بحال .

هذا هو رأي الشيعة الامامية . الذين ينعتهم ابن تيمية وأتباعه بالشرك ، و يستحل هو وقبيله منهم الدم والمال والذرية .

الأسباب والمسببات :

قال الاشاعرة : ليس في الكون أسباب طبيعية ، وجميع المسببات تستند الى الله مباشرة ، فهو الذي يخلق الشبع عند الاكل ، والشفاء عند شرب الدواء ، و يزيل العطش عند شرب الماء . وقال المعتزلة والامامية : بل ان في الكون أسباباً طبيعية تستند اليها مسبباتها مباشرة والاسباب الطبيعية تنتهي بالواسطة الى الله سبحانه ، لانه مسبب الاسباب .

و يظهر من كلام ابن تيمية انه يوافق الاشاعرة ، حيث قال في كتاب نقض المنطق ص ٣٦ : «ان لله ملائكة موكلة بالسحاب والمطر ، وملائكة موكلة بالهدي والعلم ، هذا رزق القلوب وقوتها ، وذاك رزق

الاجساد وقوتها» .

أما تلميذه ابن القيم فيتفق مع المعتزلة والامامية في هذا الباب ، حيث نقل عنه صاحب فتح المجيد في ص ٦٩ قوله : «لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الاسباب التي نصبها الله مقتضية لمسبباتها قدراً وشرعاً» . و يشعر هذا النقل بأن الوهابية في ذلك على رأي ابن القيم .

مرتكب الكبيرة :

و يعتقد الوهابية ان من ارتكب كبيرة من الموحدين لا يخلد في النار . (فتح المجيد ص ٤٧٩) وهو الحق .

أصحاب الرسول :

و يعتقد الوهابية ان جماعة من أصحاب الرسول (ص) كانوا يوحدون الله ، ويجاهدون مع رسول الله ، و يصلون معه ، و يزكون ، ويحجون ومع ذلك كانوا كفرة بعيدين عن الاسلام كل البعد .

(محمد عبد الوهاب في رسالة كشف الشبهات ص ١٢٠ الرسائل العملية التسع طبعة ١٩٥٧) .

الخلفاء الراشدون :

و يعتقدون ان الخلفاء الاربعة الراشدين هم صفوة السلف الصالح ، وان التفاضل بينهم يأتي على حسب ترتيبهم في الخلافة .

وعلى هذا يجب أن يكون يزيد بن معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز ، لانه أقدم وأسبق في الوظيفة .. مع ان الملك عبد العزيز قال : أنا أقتدي بعمر بن عبد العزيز ، ولم يقل : أنا أقتدي بيزيد ، لانه أسبق . (من خطاب ألقاه في عيد الاضحى سنة ١٣٦٥ هـ) .

والغريب انهم يروون لعلي بن أبي طالب من الفضائل والمناقب ما لم يرووا بعضه لاحد من الصحابة ، حتى للخليفة الاول ، ومع ذلك يجعلون الافضلية على أساس الترتيب في الخلافة .

هذا كتاب التوحيد لمحمد عبد الوهاب ، وهو انجيل الوهابية ، لم يذكر فيه المؤلف منقبة واحدة لاحد من الخلفاء أو الصحابة إلا ما قاله النبي في علي يوم خيبر : «لاعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، فبات الناس يدكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله (ص) كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي ؟ .» .

جاءوا كلهم يتلهفون و يطمعون أيهم يعطاها ، حتى الاول والثاني والثالث ، ولم يأت علي ، ولكن النبي لم يلتفت اليهم ، وسأل عن علي وحده .. وكان الواجب ــ بناء على ان الافضلية على ترتيب الخلافة ــ أن يسأل أول ما يسأل عن أبي بكر ، فإذا لم يكن فعن عمر ، فاذا لم يكن فعن عثمان ، فإذا لم يكن فعن علي ، لانه الخليفة الرابع .. يقول النبي : أين علي ؟ و ياعلي افتح الحصن ، وادفع العدو ، ولا يقول : ياأبا بكر ، وأين أبو بكر ؟ ومع ذلك أبو بكر أفضل لا لشيء إلا لان علياً خاتم الخلفاء الراشدين ، وعلى منطقهم هذا ينبغي أن يكون محمد في الفضل دون من تقدمه من الانبياء ، لانه خاتم النبيين ، والمفروض انه أفضلهم وسيدهم ، فكذلك علي خاتم الراشدين وأفضلهم وسيدهم .

ونقل حفيد محمد عبد الوهاب ، وهو يشرح كلام جده في فتح المجيد ص ٩٠ عن ابن تيمية انه قال «ان في حديث لاعطين الراية الخ شهادة من النبي لعلي بايمانه ظاهراً و باطناً ، واثباتاً لموالاته لله تعالى ورسوله ، ووجوب موالاة المؤمنين له» .

وأيضاً قال ابن تيمية في العقيدة الواسطية الموجودة في كتاب

الرسائل التسع ص ١٤٧ : «نحن ممن يحبون أهل بيت رسول الله ، و يتولونهم ، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ، حيث قال يوم غدير خم : أذكركم الله أهل بيتي ، أذكركم الله أهل بيتي . وقال أيضاً لعمه العباس ــ وقد اشتكى اليه ان بعض قريش يجفوا بني هاشم ــ فقال : والذي نفسي بيده لا يؤمنون ، حتى يحبوكم لله ولقرابتي . وقال : ان الله اصطفى بني اسماعيل ، واصطفى من بني اسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» .

واذا اصطفى نبيه من بني هاشم ، لانهم الصفوة ، فينبغي أن يصطفي خليفته من أهل بيت النبي ، لانهم صفوة الصفوة .. هذا هو منطق العلم والدين ، ولكن أين منه من كفّر جميع المسلمين ؟ ..

الأحاديث :

و يعتقد الوهابية ان كثيراً من الاحاديث الموجودة موضوعة على لسان الرسول افتراء .

وهذا حق لا ريب فيه .

الجاهل غير معذور :

اذا نطق المسلم بكلمة التوحيد مؤمناً ، ثم زار القبور جاهلاً بالتحريم يكون مشركاً ، وجهله ليس بعذر عندهم . (كتاب تطهير الاعتقاد ص ٣٥ والرسائل العملية التسع ص ٧٩) . وقال صاحب فتح المجيد ص ٤٠٦ : «وسبب هذه البدع جهل أهلها وقصورهم في الفهم» أي ان من خالف عن جهل يكون مبتدعاً ، حتى ولو كان جهله عن قصور ، لا عن تقصير .

الاجتهاد والتقليد :

قال الوهابية : لا يجوز لاحد أن يقلد واحداً من أئمة المذاهب الاربعة ، ولا غيرهم مع وجود النص ، ويجوز تقليدهم اذا فقد ، واستدلوا على ذلك بأن الائمة الاربعة أنفسهم لا يجيزون التقليد ، و بأن أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وابن حنبل قد جهلوا الكثير من أحكام الشريعة ، قال صاحب فتح المجيد ص ٣٨٨ : «والائمة نهوا عن تقليدهم اذا استبانت السنة لعلمهم ان من العلم شيئاً لم يعلموه ، وقد بلغه غيرهم ، وذلك كثير» .

ولهذا لا يقلد الوهابية ابن حنبل ولا غيره مع وجود النص ، و يقلدونه فيما لا نص فيه ، أي ان أقوال ابن حنبل عندهم أصل قائم بنفسه يرجعون اليه اذا أعوزهم الدليل من الكتاب والسنة ، تماماً كالقياس عند السنة ، والعقل عند الشيعة .. إذن ، هم مجتهدون ومقلدون في آن واحد ، يجتهدون في استخراج الحكم من النص ، وفي تقوية الحديث وتضعيفه ، و يلجأون الى ابن حنبل مع عدم النص ، قال الملك عبدالعزيز في خطاب ألقاه بمكة المكرمة سنة ١٣٥٥ هـ : «ومذهبنا هو اتباع الدليل ، حيث يكون ، فان فقد الدليل ، ولم يكن هناك إلا الاجتهاد اتبعنا اجتهاد أحمد بن حنبل» .

و يلاحظ بأن أي انسان لا يستطيع استخراج الحكم من النص إلا اذا انتهى بعلمه الى رتبة الاجتهاد ، ولا يبلغ هذه الرتبة إلا من توافرت فيه المؤهلات لتمييز المعاني الحقيقية من المجازية ، والمنطوق من المفهوم ، والمجمل من المبين ، والناسخ من المنسوخ ، والعام من الخاص ، والمطلق من المقيد ، والخبر الصحيح من الضعيف ، والمعارض من السالم ، وعرف عملية العلاج بين المتعارضين ، وموارد اجماع العلماء ،

واختلافاتهم ، فاذا تهيأ كل ذلك استطاع أن يجتهد ويخرج الحكم من النص ، ووجب عليه أن يعمل بفهمه واجتهاده مصيباً كان في الواقع أو مخطئاً ، مادام جاهلاً بمكان الخطأ ، وهو في الوقت نفسه يستطيع أن يستخرج الحكم من الاصل العام الذي دل على اعتباره النص القطعي ، أو العقل الفطري ، مع عدم النص ، ومن عجز عن الاجتهاد ، واستخراج الحكم من الاصل العام مع عدم النص ، فهو عن فهم النص واستخراج الحكم منه مع وجوده أعجز أو مثله في الضعف والعجز.

و بكلمة أما أن يكون هذا مجتهداً ، وأما غير مجتهد ، فإن كان مجتهداً جامعاً لشروط الاجتهاد حرم عليه التقليد اطلاقاً ، وجد النص أو لم يوجد ، لان من عرف الحق من دليله لا يجوز له أن يقلد فيه ، بل يكون من هذه الجهة كأحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة ، وإن لم تتوافر فيه شروط الاجتهاد وجب عليه تقليد المجتهد «واسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» .

وعلى هذا يكون قول الوهابية بوجوب الاجتهاد مع وجود النص ، وتحريمه مع عدمه تخصيصاً بلا مخصص ، وتقييداً في مورد الاطلاق ، بل تجزئة وتقسيماً للشيء الى نفسه والى غيره .

كرامات الأولياء :

و يعتقد الوهابية بكرامات الاولياء «وان الله يجري على أيديهم خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات ، وأنواع القدرة والتأثيرات» (١) . (الرسائل العملية التسع ص ١٤٩) .

---

(١) نسبت الايمان اليهم بالكرامات كما جاءت في كتاب الرسائل العملية التسع الذي أرشدني اليه علماء الوهابية فيبما أرشدوا حين كنت بالحجاز ، ولو لم يكن من مصادرهم

ومعنى هذا ان المؤمن الصالح يستطيع بالدعاء أن يعلم الغيب ، وأن يرى وهو في المشرق من في المغرب ، و يسمع ، وهو في المغرب من يتكلم في المشرق ، وانه يمشي على الماء ، تماماً كما يمشي على اليابسة ، و يطير في الهواء كالغراب ، بل يستطيع أن يجفف البحار والانهار ، و يغرق الارض كلها بالطوفان .. يفعل ذلك ، وأكثر من ذلك بمجرد الدعاء و بالتلفظ بكلمة أو بضع كلمات لا بتوسط علم وآلات .

ولست بصدد صحة هذا القول أو بطلانه ، ولكن لدي سؤال واحد أود أن أوجهه الى الوهابيين على مقياسهم هذا ، لا على مقاييسي أنا (١) وهذا هو السؤال : اذا كان للولي هذه الكرامة والقدرة ، فهل يجوز لنا أن نطلب منه الدعاء بالخير والهداية الى الحق ، تماماً كما نطلب العلم من العالم ، والدواء من الطبيب ؟ . وعلى افتراض الجواز فلماذا قلتم من طلب من النبي (ص) أن يشفع له عند الله فهو مشرك ؟ . وإن قلتم : لا يجوز طلب الدعاء بالخير والتوفيق من الولي ، قلنا : إذن لا خير عند الولي ولا كرامة .

السحر :

و يعتقد الوهابية بالسحر والساحر ، وتعلم السحر عندهم سهل للغاية بشرط أن يكفر الانسان ، و يأتي بأعظم المعاصي مثل أن يضع المصحف الشريف في كنيف ونحوه والعياذ بالله وقدمنا فيما سبق أمثلة من أقوالهم حين قابلنا بينها ، و بين ما يدعو به الشيعة عند قبور الائمة الاطهار ــ راجع فقرة الشيعة والمناجة من هذا الفصل ــ والآن ننقل ما ذكره

الصحيحة لما طبعوه ووزعوه بالمجان ، ولكن كلام صاحب فتح القدير يشعر بنفي الكرامات .

(١) الكرامة في اعتقادي هي الصدق والاخلاص .

الصنعاني كحجة على اعتقادهم بالسحر، وطريق تعلمه، قال في صفحة ٥١ من كتابه تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد ما نصه بالحرف الواحد: «قد ثبت في الاحاديث: ان الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان، وهذا أمر مقطوع بوقوعه، فهم ــ أي الشياطين ــ الثعابين التي يشاهدها الانسان في أيدي المجاذيب، وقد يكون ذلك من باب السحر، وهو أنواع، وتعلمه ليس بالعسير، بل بابه الاعظم، هو الكفر بالله، واهانة ما عظم الله من جعل مصحف في كنيف ونحوه، فلا يغتر من يشاهد ما يعظم في عينيه من أحوال المجاذيب من الامور التي يراها خوارق، فإن للسحر تأثيراً عظيماً في الافعال، وهكذا يقلبون الاعيان بالاسحار وغيرها». ومعنى قوله يقلبون الاعيان بالاسحار ان الساحر يستطيع أن يقلب الانسان حجراً، والحجر انساناً.

و بدون حقد، ولا ثورة أعصاب، و بكل لطف وهدوء أدعوك أيها القارىء أن تقرأ ما جاء في هذا الكتاب بالذات الذي ألفه الصنعاني، ليطهر الاعتقاد من أدران الالحاد، أن تقرأ ما جاء في صفحة ٤٨، وهذا هو: «ان المشاهد والقباب وسيلة الى هدم الاسلام، وخراب بنيانه».

اقرأ هذا، وقارن بينه و بين قوله: «تعلم السحر سهل يسير، و بابه الكفر، وجعل المصحف في «كذا» .. اقرأ وقارن بين من يعتقد ان في رفع القباب على قبر الرسول وآله الابرار تعظيماً لشعائر الله، و بين من يعتقد بالسحر على الشكل الذي رسمه الصنعاني، وان سبيل السحر، هي اهانة القرآن على الصورة في كتابه، وإن من فعل ذلك يقل للشيء كن فيكون .. اقرأ وقارن، ثم احكم بعقلك وفطرتك وخبرنا عن صورة المشرك التي ارتسمت في خاطرك للوهلة الاولى لاحد الاثنين، وأنت تقرأ وتقارن، وقل لنا أي الاعتقادين ذريعة للشرك والالحاد، و وسيلة لهدم الاسلام، وخراب بنيانه ؟. وأي الرجلين يجب أن يطهر اعتقاده

من أدران الالحاد ؟ .. ولكن ما الجدوى من حكمك وشعورك ومن حكم العقل والفطرة ، حكم السماء والارض مادام مبدأهم ومنهجهم الاول والاخير هو التكفير ، ومن خلاله ينظرون اليّ واليك والى الناس أجمعين إلا من تاب وآمن وعمل وهابياً .

الأمر بالمعروف :

و يعتقد الوهابية بوجوب الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، لورود النص .. وليس من شك ان الامر بالمعروف واجب ، أما بحكم العقل ، كما يقول المعتزلة والامامية ، وأما بحكم الشرع ، بحيث لو لم ينص عليه الشرع لم يجب ، كما يقول الاشاعرة والوهابية ، والنتيجة واحدة .

ولكن يلاحظ بأن الوهابية يجيزون الصلاة خلف الفاسق الفاجر ، كما جاء في الرسائل العملية التسع ص ١٥٠ . وهذا تشجيع للمنكر الذي لا يجتمع مع وجوب النهي عنه .

الحاكم الجائر :

يعتقد الحنابلة بما فيهم الوهابية بأنه لا يجوز الخروج على الحاكم الجائر ، والمستبد الفاسد ، و يوجبون طاعته والاستماع له ، كما جاء في كتاب الاحكام السلطانية ، وصاحبه حنبلي المذهب . واستدلوا بقوله تعالى : «أطيعوا الله والرسول وأولي الامر منكم» .

و بالمناسبة نذكر ما قاله الملك عبد العزيز في خطبة ألقاها في الطائف بحضور رؤساء البلاد ١٦ لمحرم سنة ١٩٥١ هـ ، قال : «والناس معنا ثلاث : أما محب ومساعد ، وأما لا محب ولا مساعد ، وأما معاند فقط ، والاول له مالنا ، والثاني نسعى جهدنا في افهامه ، أما

الثالث فجزاؤه ما جاء في الآية الشريفة : «انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله و يسعون في الارض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخر عذاب عظيم» .

إذن ، أين الحرية والديمقراطية ، والعدل والانصاف ؟ . وأين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ . إن الآية الكريمة نزلت في الذين يقطعون الطريق على الناس بالسلب والنهب والقتل ، ويخلون بالامن ، ويحولون بين الزارع وحقله ، والعامل وعمله . أما معارضة الحاكم ، وعدم الاتفاق معه على آرائه كلها ، أو جلها فليست جرماً تعاقب عليه الشرائع السماوية ، ولا الوضعية .. وقد رحب أبو بكر وعمر ، وغيرهما كثير من الحكام في القديم والحديث رحبوا بالمعارضين ، وأفسحوا لهم المجال حتى في ميدان العمل لانتزاع الحكم منهم ، ولو يوجبوا قتلهم وصلبهم ونفيهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف .

أصحاب الذنوب :

قال الخوارج : ان مرتكب الكبيرة كافر يخلد في النار ، وقال الاشاعرة والامامية : بل هو مؤمن عاص ، وقال المعتزلة هو في منزلة بين العاصي والكافر .

وأحدث الوهابية قولاً رابعاً ، وهو ان من قال : لا إله إلا الله لا يخلو أن يكون واحداً من اثنين ، أما أن يقولها دون أن يشرك بالله شيئاً ، أي لا يزور قبراً ، ولا يبنيه ، ولا يصلي عنده لله ، ولا ينذر له ، ولا يمسه ، ولا يتمسح به ، ولا يطوف حوله ، وأما أن يقولها ، و يفعل شيئاً من ذلك ، والاول لا يسأل عن شيء ، ولا يحاسب على شيء ، وان أتى بملء الارض ذنوباً .. جاء في فتح المجيد صفحة ٥٤ «ان التوحيد الخالص

الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب ، لانه يتضمن محبة الله واجلاله وتعظيمه ، وخوفه ورجاءه وحده ما يوجب غسل الذنوب ، ولو كانت قراب الارض ، النجاسة عارضة ، والدافع لها قوي» . وهذا شبيه بما نسب الى البكداشية من ان حب علي حسنة ولا تضر معها سيئة .. والقرآن الكريم يكذبها معاً : «من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره».

أما الثاني ، وهو الذي يزور القبور فهو مشرك كافر ، لا يقبل منه عمل ولا صلاة ولا صوم ، ولا عمل الحسنات والمبرات .. وليس من شك انهم يريدون بالموحد الاول الوهابية أنفسهم ، و بالثاني جميع المسلمين بدون استثناء ، والدليل ما نقلناه عن كتبهم فيما سبق ، ونذكر هنا للتأكيد ما قاله صاحب فتح المجيد في ص ١٠١ : «كما هو الواقع في هذه الامة ــ أي أمة محمد والواقع منهم هو العصيان ــ وهذا هو الشرك الاكبر المنافي للتوحيد ــ الى أن قال ــ فاثبتوا ما نفته كلمة التوحيد ، وتركوا ما أثبتته من التوحيد» .

وفي هذا القول ، وهذه العقيدة يكمن سر الاهمال والتأخر في السعودية ، وتسلط الحكام بدون شورى وانتخاب ، وعدم شعورهم بالمسؤولية ، واكتنازهم مقدرات الشعب في البنوك والمصارف ، الى جانب البؤس والمرض والجهل ، كل ذلك لابأس به ، لان أمراء الوهابية وشيوخهم يوحدون الله توحيداً «لا يبقى معه ذنب ، ولو كان قراب الارض» .

و بالتالي ، فاني أحسب ان التاريخ لم يعرف ، ولن يعرف فئة في القسوة والجفوة ، والتعصب والجمود كالوهابية ، ولا أحداً مثلهم يهتم بالقشور ، دون اللباب ، وأقدم لك مثلاً واحداً وأخيراً يفسر و يوضح جميع ما نقلته عنهم ، و يعطي صورة واضحة ودقيقة لجمودهم في الفهم

والتفكير، و بعدهم عن روح الاسلام وحقيقته ، وهذا هو المثال : يجوز للانسان أن يقتني المئات والالوف من العبيد والاماء ، ولكن لا يجوز له أن يقول و يتلفظ بلسانه : هذا عبدي ، وهذه اَمَتي ، لان ذلك يتنافى مع التوحيد الخالص الذي لا تضر معه الذنوب ولوكانت مثل زبد البحر، أما الاستعباد فعلاً ، والعمل بمدلول اللفظ فجائز، وليس شركاً كالتلفظ والتفوه ، (رسالة التوحيد) .

ان العارفين بالله يعلمون حق العلم ان أفضل العبادات والطاعات هو العمل لخير الانسان تقرباً اليه تعالى ، دون أن يبتغي العامل من غيره جل وعز جزاء ولا شكورا ، وألف تحية على الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق الذي قال : «ان لله عرشاً لا يسكن تحت ظله إلا من أسدى لاخيه معروفاً ، أو نفّس عنه كربة ، أو قضى له حاجة» .

التوحيـــد والعبـــادة

من هو صاحب الرسالة :

لا يكون الانسان صاحب رسالة إلا اذا كان له هدف واضح عام لا يبتغي من ورائه منفعة شخصية ، بل يؤمن به و يدين كمبدأ وعقيدة ، و يعمل له ، و يضحي في سبيله بكل عزيز ، حتى بالروح والمال ، ولا يتنازل عنه مهما كان الثمن ، بحيث يكون هو الغاية ، وكل ما عداه وسيلة له ، وان تكون الخطة الى تنفيذه معلومة ومحددة بكل دقة .

فاذا لم يكن له هدف واضح ، أو كان ، ولكن أراد به نفسه ، أو لم يرد إلا الخير، ولكنه جهل الوسيلة اليه ، أو عرفها ، ولكنه لم يعمل ، بل اعتمد على الصدفة والقدر، اذا كان شيء من ذلك ، ثم ادعاها مدعٍ فهو كاذب ، أما عظمة الشخصية وقوتها وصلابتها التي يجب أن يتمتع بها صاحب الرسالة فأمر يعود الى تنفيذ الرسالة ، لا الى مفهومها وحقيقتها .

الرســـالة الشـاملة :

لم تستهدف رسالة محمد (ص) عشيرة قريش دون غيرهم ولا قومه

العرب وحدهم ، ولا الشرق فقط ، بل استهدفت البشرية بكاملها عربها وعجمها في كل زمان ومكان ، كما انها لم تقف عند الحياة الروحية وحدودها ، أو المادية وقيودها ، أو عند جهة ، أو جهات معينة ، منهما ، بل هي شاملة كاملة ، تمتد الى جميع الجهات بشتى أنواعها وألوانها في حياتنا هذه ، وفي الحياة الثانية ، بل تصدت الى تحديد الكون في بدايته ونهايته .. وان هذا الشمول برسالة محمد يستتبع بطبيعته أمرين يترتبان عليه قهراً :

الاول : ان محمداً رسول من عند الله ، إذ يستحيل على بشر أن يقوم بهذه المهمة ، أو يجرأ على ادعائها ، والتعرض لها من تلقائه ، وان بلغ من العلم ما بلغ ، فضلاً عن كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وان جازف وخاطر وادعى مثل ذلك فمحال يكتب له النجاح ، و يترك أثراً محموداً .. ان هذه المهمة أو هذه الرسالة الشاملة الكاملة لا تكون ولن تكون إلا ممن أحاط بكل شيء علما ومحال أن تحيا إلا اذا كان وراءها مدبر قدير ، وعناية إله خبير ، لذا أسند محمد رسالته الى خالق كل شيء ، عليم بكل شيء ، لا الى شخصيته وعقله وعبقريته ، وأعلن لمن كان و يكون انه بشر يخضع لما تخضع له الناس ، و يفعل كما يفعلون ، وانه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، سوى انه رسول يوحى اليه ، وانه لا يستطيع الا تصال بالله إلا أن يشاء الله .

الامر الثاني الذي يدل عليه شمول هذه الرسالة هو ان محمداً خاتم النبيين والمرسلين ، حيث لم يبق لمن بعده شيء يحتاج الى بيان في جهة لحياتنا هذه ، أو للحياة الثانية ، أي ان التجربة الدينية للانسان انتهت بكتاب الله الذي فيه تبيان كل شيء جملة أو تفصيلاً و بالشريعة السمحة التي كشفت عن أوامر الله وأحكامه ، وسننه في خلقه ، وكانت الشريعة الابدية الخالدة يبلغها السابق اللاحق بدون حاجة الى رسول جديد .

واذا كان كل حكم نطق به محمد (ص) ، وكل بيان يتصل برسالته وراءه حقيقة عليا أوحت به اليه وجبت ــ والحال هذه ــ معرفة تلك الحقيقة ، والايمان بها ، والاذعان لها ، وقد حدد الله سبحانه على لسان نبيه الطريق الى معرفته بالتفكير والنظر ، وحدد الايمان به بكلمة التوحيد ، وحدد الاذعان له بعبادته وطاعته فيما أمر ونهى .

طريق المعرفة :

لقد أراد الله سبحانه أن يُعرف بالوسائل البشرية المألوفة ، وهي التفكير والنظر في خلق السموات والارض ، وما فيهما من عجائب وأسرار : «ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين» . «هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون» .

ان الله جل وعلا يضع آياته أمام عبده ، و يقول له : أنظر وتأمل ، تماماً كما تعرض ما لديك من الادلة على من جادلك فيما تعتقد وتدين .. ولا شيء أدل على ذلك من هذا التفضل والتلطف في أسلوب هذه الآية الكريمة التي خاطب بها منكري البعث والنشر ، قال عز من قائل : «يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة» .

واذا لم يفرض الله دينه على الناس فرضاً ، فكيف ساغ للوهابية أن تقول : «يجب دعاؤهم الى التوحيد ، فمن أقر سلم ، وإلا فهو مباح الدم والمال والذرية» . (تطهير الاعتقاد ص ٣٥ و ٣٦) .

و بعد ، فمن هو الضال المبدع في الدين ، الوهابية الذين أتوا بهذه المحدثات ، أو أمة محمد ؟ .

التوحيـــد :

و بين الله على لسان نبيه حقيقة توحيده وتنزيهه عن الاضداد والاشباه والانداد ، بيّنها في أبسط معنى ، وأوضح مبنى يستوي في فهمه العالم والجاهل ، والكبير والصغير ، وهو كلمة لا إله إلا الله ، مع الايمان بها ، أي نطق باللسان ، وتصديق بالجنان ، وكفى .. ولو كانت حقيقة التوحيد غير هذه البساطة التي لا فلسفة فيها ، ولا صناعة ، ولا اقيسة لما قبل النبي الاسلام من العجائز ورعاة الابل في الصحراء ، وكان عليه قبل كل شيء أن يهيء الناس بالعلم والدراسة لتفهم الاسلام ، ثم يعرضه عليهم ، أو يأمرهم بالتعلم ، حتى يبلغوا درجة الاجتهاد ، و يستطيعوا استنباط التوحيد من كلمة لا إله إلا الله ، تماماً كما هي الحال بالقياس الى استخراج الاحكام الفرعية الشرعية من أدلتها التفصيلية ، مع العلم بأنه لا شيء من ذلك ، وهذا دليل قاطع على فساد ما قاله الوهابية من ان كلمة الشهادة لا تنفع ، والايمان بها لا يجدي بدون قيودها الكبار الثقال التي لا يفهمها إلا الخلص .

و بديهة ان الاصول الاسلامية ترتكز على الفطرة النقية الصافية الضرورية التي تشترك في معرفتها البشرية على السواء .. و بهذا يتبين ان كل ما أضافه الوهابية الى معنى التوحيد ، وملأوا به الكتب والطوامير إنما هو بدعة وضلالة ، وان البدع التي نعتوا بها أمة محمد هم بها أولى ، وهي بهم ألصق وأليق .

العبـــادة :

أما عبادة الله سبحانه فقد حُددت على لسان نبيه الاكرم تحديداً يستحيل تفسيره تفسيراً صحيحاً بغير الوحي ، حيث بلغ من الضبط

والدقة مبلغاً لا يصل اليه عقل نافذ ، ولا فكر ثاقب ، ولا مثالي ولا واقعي . وتعالى معي ، وقف وتأمل وفكّر طويلاً في هذا الرسم العجيب ، فهل تجد له تفسيراً بغير قدرة عظيمة وراء هذا الكون ، لا تشبهه في شيء ، ولا يشبهها في شيء ، فلقد اختطت هذه القدرة لكل عاقل بالغ أن ينهض من فراشه بعد طلوع الفجر ، وقبل بزوغ الشمس ، و يغسل وجهه ، و يديه الى المرفقين ، ويمسح برأسه ورجله ، كل ذلك يأتي به على نحو خاص لا يتعداه أبداً .

ثم يقف بين يدي الله في هذا الوقت المحدد ، لا يتقدم عليه ، ولا يتأخر عنه ثانية ، و يتجه بوجهه ، ومقاديم بدنه الى جهة خاصة لا يحيد عنها قيد أنملة ، و يصلي لله ركعتين فقط ، يسبحه و يقدسه فيهما بالفاظ معينة لا يتجاوزها الى غيرها ، و يركع بنحو خاص ، و يسجد على سبعة أعضاء بشكل خاص ، ولا يلتفت يمنة أو يسرة ، ولا يزيد حرفاً ، أو ينقص حرفاً ، ولا يأتي بأية حركة ، أو أي عمل أثناء ذلك ، فاذا انتهى من هذه العملية مضى الى سبيله ، حتى اذا زالت الشمس ، و بلغت كبد السماء عاد فصلى أربع ركع بنفس الحدود والقيود ، و بعدها أربعاً مثلها ، ثم يمضي حيث يشاء الى أن يدركه الغروب ، فيصلي ثلاث ركع لا غير ، و بعدها أربعاً ، و بها يتم ما وجب عليه في يومه وليلته ، يفعل ذلك كل يوم وليلة بدون استثناء لا في يوم واحد من كل أسبوع ، كالجمعة أو السبت أو الاحد .

وان دلت على شيء هذه الدقة في التصميم والرسم فانما تدل على ان من صمم ورسم هو فوق العقول مجتمعة ، فوق كل شيء ، هو الكمال النهائي في كل وصف .. ومن يدري ان لهذه الصورة الخاصة من العبادة تأثيراً في البقاء والاستمرار على التوحيد ، وفي النهي عن الفحشاء والمنكر .

وأيضاً يجب على البالغ العاقل أن يصوم من كل سنة شهراً قمرياً معيناً كاملاً ، لا ينقص منه يوماً ، ،لا يزيد فيه ، فيمسك عن الطعام والشراب والنساء من مطلع الفجر الى الليل ، لا يتقدم دقيقة أو يتأخر بنية الامساك ، ولا يبدل شهراً بشهر ، مهما كانت الظروف ، أما الحكمة في كون الشهر قمرياً فلاجل أن يمر الصيام على الانسان في جميع فصول السنة ، لا في فصل دون فصل ، فاذا انتهى شهر الصيام وجب أن ينفق في سبيل الله مبلغاً رمزياً من المال ، ان ملك مؤونة سنته .

وأيضاً على المستطيع أن يحج الى حرم الله في العمر مرة على أن يلبس لباساً خاصاً ، و يطوف حول البيت بشكل خاص ، و يسعى بصورة خاصة ، و ينام في أماكن معينة في وقت معين ، و يترك الطيب والنساء والصيد ، وما الى ذلك .

وأيضاً على الزارع أن يزكي الناتج في كل سنة اذا بلغ نصاباً معيناً ، وعلى العامل والتاجر أن يخرج خمس ما يزيد عن مؤونة سنته .

ومن هذا الايجاز يتبين ان العبادة على أنواع : منها أفعال يجب أن تتكرر في اليوم خمس مرات ، وهي الصلاة ، ومنها تروك تجب في شهر معين من كل سنة ، وهي الصوم ، ومنها أفعال وتروك تجب في العمر مرة ، وهي الحج ، ومنها أموال تنفق في وجوه البر والخير.. هذي هي العبادة التي جاءت على لسان محمد بحقيقتها وأجزائها ، وحدودها وقيودها ، ولا يجوز فيها التبديل والتعديل ، ولا التقليم والتطعيم ، فمن أداها كان مطيعاً لله ، ممتثلاً ما أمر به على لسان نبيه الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم .

ولا يرتبط فسادها بزيارة قبر أو تعميره ، ولا صحتها بترك ذلك ، ولا بعدم الاستغاثة ، وطلب الشفاعة من الانبياء ، ولا بشيء مما ذكره الوهابيون ، سواء أكانت زيارة القبور وما اليها محرمة أو مباحة ، ومن

أناط صحة العبادة وقبولها بشيء من ذلك أو غير ذلك سوى التوحيد فقد ابتدع ، وأتى بما لم ينزل الله به سلطاناً ، ولا بياناً . .

والغريب في أمر الوهابية انهم يربطون بين صحة العبادة ، و بين هجر القبور ، وكذلك يربطون بين هجرها و بين التوحيد ، أما قتل النفس المحترمة فلا يتنافى مع التوحيد ، ولا مع صحة العبادة قال بعض الشعراء :

قتل امرىء في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

ولكن الجريمة التي لا تغتفر في نظر الوهابيين ليست في قتل امرىء أو شعب ، بل في زيارة قبور الانبياء والاولياء ، وقول المسلم يامحمد اشفع لي عند ربك . . فاتقوا الله أيها الوهابيون في دين الله ، وفي شريعة محمد بن عبدالله (ص) ولا تشوهوا جمالها بتعصبكم ، ولا تقفوا حائلاً بين نورها ، و بين الاجيال بعقولكم ، ولا تحرموا ما أحل الله من عندياتكم ، وتربطوا بعض أحكامه ببعض من تلقائكم ، ولا تكفروا من وجد و يوجد من أمة محمد غيركم ، فان الايمان منه القوي ، ومنه الضعيف ، ومنه ما بين ذلك ، ولا يذهب كله بذهاب مرتبة منه : «ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» .

ومرة ثانية أكرر القول : ان مبادىء الاسلام صافية كلها ، فطرية كلها ، فلندعها تسير في طريقها لتنتشر في أرض الله الواسعة ، ولا نقف حجرة عثرة في سبيلها ، ولنكن لها فخاراً وزيناً ، لا عيباً وشيناً .

اقتراح :

أقترح أن ينتدب الوهابيون أعلم علمائهم ، وأقواهم على الدفاع عن عقيدتهم ، والهجوم على غيرها ، ثم يجتمعوا مع علماء من المسلمين ،وتطرح

كل فئة ما لديها من الحجج والبراهين ، وتناقشها الأخرى نقاشاً علمياً هادئاً على أساس الكتاب والسنة الثابتة ، ومنطق العقل ، ويحكم بين الطرفين من يثق به الجميع ، هذا مع العلم بان ادلة العقيدة ، ومصادر الأصول معروفة بشكل عام ، والاختلاف إنما هو الفهم ، والاستخراج من الأصل ،وعليه فلا مانع ابداً من ان يكون الحكم أجنبياً ، ما دام يملك أدوات المعرفة باصول العقيدة ، والفهم السليم لها ، و يتحلى بالانصاف ، وعدم الانحراف ، ومن كانت له الحجة على غيره فهو المسلم المؤمن حقاً ، ومن كانت عليه فهو الضال المبدع.

محمد عبد الوهاب

محمد عبد الوهاب هو صاحب الدعوة الوهابية ، واليه ينتسب المذهب الوهابي.. ولد في العشرة الثانية من القرن الثاني عشر الهجري بمدينة تسمى «العينية» بنجد ، وكان أبوه قاضياً فيها ، وأميرها يومذاك عبد الله بن معمر.

درس محمد على أبيه مبادىء العلوم الدينية ، وطرفاً من الفقه ، ثم رحل الى الحجاز ، ومكث أشهراً ، وأثناء إقامته في المدينة المنورة حضر على بعض شيوخها ، ثم عاد الى نجد وما استقر فيها ، حتى استأنف الرحلة الى البصرة ، وحين أظهر آراءه لاهلها أنكروا عليه ، وطردوه ، فخرج منها هارباً ، وعاد الى أبيه بنجد ، وكان أبوه قد ترك العينية الى بلدة «حريملة» و بقي الوالد فيها الى أن وافته المنون سنة ١١٤٣ هـ .

وعن تاريخ الآلوسي ان الاب لم يكن راضياً عن ابنه ، وانه زجره ونهاه ، و بعد أن مات أبوه تجرأ عليه أهل حريملة ، وهموا بقتله ، فلم يجد بداً من الهرب الى العينية ، وهي مسقط رأسه ، ودار نشأته ، وقد تعاهد

هو وأميرها عثمان بن معمر على أن يشد كل منهما أزر الآخر، فيترك الامير للشيخ الحرية في اظهار الدعوى، والعمل على نشرها، لقاء أن يقوم الشيخ بدوره بشتى الوسائل لسيطرة الامير على نجد بكاملها، وكانت يومذاك موزعة الى ست أو سبع إمارات، منها امارة العينية.

ولكي تقوى الروابط بين الاثنين زوج الامير أخته جوهرة من الشيخ، فقال له الشيخ: «اني لآمل أن يهبك الله نجداً وعربانها». (١)

وهكذا يؤمن محمد عبد الله بأن الله يهب الاحرار، وما يملكون لمن يناصره في دعوته، ويجعلهم عبيداً له من دون الله هذا وهو يدعو الى التوحيد الخالص من شوائب الشرك.. أما نحن الشيعة، أما نحن المشركين في نظر محمد عبدالوهاب وأتباعه فإنا ندين ونعتقد بأن الناس كلهم أحرار، وان الله لم يجعل لانسان سبيلاً على مثله، وانه سبحانه يهب الهداية والعقل والصحة والخير، أما الشر والظلم والتحكم بالارواح والاموال فهو من الشيطان لا من الرحمن في عقيدتنا.. ان عندنا من العلم بعدل الله واحسانه ما ينزهه عما يقول و يفعل الظالمون.

وهكذا بدأ التحالف بين الشيخ والامير، واحدة بواحدة.. مساومة، ثم أخذ وعطاء، والثمن هو الدين والشعب، أما زواج الشيخ من جوهرة فتثبيت للتحالف، وضمان للوفاء.. لقد سخّر محمد عبدالوهاب الدين لرجل الدنيا، وتطوع لتعزيز حكمه، دون أن يكون على يقين من عدله، أو يأخذ منه موثقاً لتحسين الاوضاع، وراحة الناس، والعمل للصالح العام.. بل على العكس فقد وعده بملك نجد وعربانها.. ولكن لا بالاقتراع وحرية تقرير المصير، بل بالحرب والغزو، و بأشلاء الضحايا..

---

(١) تاريخ نجد لعبد الله فيلبي ص ٣٦ نشرته المكتبة الاهلية ببيروت

ومع ذلك فان محمد عبدالوهاب هو المجدد المصلح ، وصاحب رسالة انسانية ..

ومهما يكن ، فان التحالف بين الاثنين لم يطل عمره ، ولم يتم أمره ، وما تمخض إلا عن زواج الشيخ بجوهرة ، وهدم قبر زيد بن الخطاب ، واثارة الفتن والقلائل من جراء دعوة ابن عبدالوهاب التي زجره عنها أبوه ، وحاول ــ من أجلها ــ أهل البصرة وحريملة أن يقتلوه ، لم يطل عمر التحالف بين الشيخ والامير ابن معمر ، لان سليمان الحميدي صاحب الاحساء والقطيف أمر عثمان بن معمر ــ وكان أقوى منه ــ أن يقتل الشيخ ، قال فيلبي في تاريخ نجد ص ٣٨ :

«قرر عثمان أن يتخلص من ضيفه ، فطلب منه أن يختار المكان الذي يريد الذهاب اليه ، فاختار الدرعية ، فأرسل عثمان معه رجلاً اسمه فريد ، وكلفه أن يقتل الشيخ في الطريق . ولكن فريداً خذلته إرادته ، وترك الشيخ ، وقفل راجعاً دون أن يمسه بسوء»

وصل الشيخ الى الدرعية سنة ١١٦٠ هـ ، وكان أميرها آنذاك محمد بن سعود ، جد السعوديين ، وتم الاتفاق بين الشيخ والامير على غرار ما كان قد تم بينه و بين أمير العينية ، فقد وهب الشيخ نجداً وعربانها لابن سعود . كما وهبهما من قبل لابن معمر ، ووعده «ان تكثر الغنائم عليه والاسلاب الحربية التي تفوق ما يتقاضاه من الضرائب»(١) على أن يدع الامير الشيخ ، ما يشاء من وضع الخطط لتنفيذ دعوته ، وتقول الرواة : ان الامير السعودي بايع محمد عبدالوهاب على القتال في سبيل الله .. ومعلوم انهما لم يفتحا بلداً غير مسلم في الشرق ، أو في الغرب ، وإنما كانا يغزوان ويحاربان المسلمين الذين لم يدخلوا في طاعة ابن سعود ، وهذا

---

(١) فيلبي ٣٩ .

الاتفاق ، أو هذه المساومة ، وما سبقتها مع ابن معمر تلقي الضوء الكاشف على دعوة ابن عبدالوهاب ، وأقل شيء تتكشف عنه انها لا تهتم بمصائر الناس ، ولا بحل أية مشكلة من مشكلاتهم ، كما هو شأن الدعوات والرسالات الصالحة .

وبعد أن شعر محمد عبد الوهاب بقوته عن طريق هذا التحالف ، وان الامارة السعودية أصبحت تناصره وتؤزاره ، بعد هذا الشعور جمع الشيخ أنصاره وأتباعه ، وحثهم على الجهاد ، وكتب الى البلدان المجاورة المسلمة أن تقبل دعوته ، وتدخل في طاعته ، وكان يأخذ ممن يطيعه عشر المواشي والنقود والعروض ، ومن أبى غزاه بأنصاره ، وقتل الانفس ، ونهب الاموال ، وسبى الذراري .. أُدخل في الوهابية وإلا فالقتل لك ، والترمل لنسائك ، واليتم لاطفالك .. هذي هي الشريعة السمحة ، والتعاليم الغراء ، والنية الخيرية ، والخلق الكريم .. وهذا هو النظام العادل الصالح الحكيم .. هذا هو بالذات مبدأ عبدالوهاب . الذي لا يتنازل عنه لاية مصلحة ، ومن أجله تحالف مع ابن معمر في العينية ، ثم مع ابن سعود في الدرعية ، وكان على أتم استعداد أن يتحالف مع أية قوة يستعين بها على ذلك .

ولكنه لم يجد مناصراً أفضل من ابن سعود بعد أن تأكد هذا الامير ان انتصار دعوة الشيخ هو انتصار له بالذات ، «وان الغنائم والاسلاب الحربية التي وعده بها الشيخ ستفوق ما يتقضاه من الضرائب» .. ولم تكن هذه الغنائم والاسلاب إلا البعير، وإلا الشاة التي كانت كل ما يملكه المسلم الآمن في صحراء نجد ، والمصدر الاول لحياته وحياة أطفاله وعياله .. كان الشيخ يغزو بأنصاره وأتباعه عربان نجد يسلبونهم مصدر حياتهم ، ثم يقفلون الى الدرعية بعد أن يتركوا وراءهم أشلاء الضحايا ، والخزائب والارامل والايتام .. و يوزع الشيخ عليهم أربعة أخماس الغنائم

والاسلاب من المسلمين الآمنين ، ويخص الخمس بالخزينة التي يتصرف بها هو والامير السعودي ، وقال عبدالله فيلبي في تاريخ نجد ص ٤١ : «وقد أدخل الامام في عقول طلابه مبادىء فريضة الجهاد المقدس ، فوجد الكثيرون منهم في الجهاد أقدس تعاليمه ، إذ أنه يتفق مع ما اعتاد عليه العرب ــ يريد ان العرب قد اعتادوا على السلب والنهب ــ كما خصص الشيخ خمس الاسلاب لخزينته المركزية التي كان الامير والامام يتقاضيان منها ما يقوم بأودهما .. وهكذا كان سلطان الشيخ في تصرف شؤون البلاد بعد مرور سنة أو سنتين ، لقد أصبح شريكاً مؤسساً» .

وقد دان بمبدأ «الوهابية أو السيف» كل وهابي ، حتى يومنا هذا ، لانه يحقق له ما اعتاد عليه من السلب والنهب .. ففي سنة ١٣٤٥ هـ طلب ١٤ عالماً وهابياً من الملك عبدالعزيز أن يجبر شيعة الاحساء والقطيف على ترك «الشرك» أي على اعتناق الوهابية ، وأن يرتب لهم اماماً وهابياً ، وأن يهدم الحسينيات ومسجد حمزة ، وأبي رشيد ، ومن أبى عن اعتناق الوهابية ينفى من البلاد(١) ومتى نُفوا من بلادهم وديارهم تكون جميع أملاكهم للوهابية ، تماماً كما فعل الصهاينة بعرب فلسطين .

هكذا يهتف أتباع محمد عبد الوهاب : لا عدل ، لا سلم ، لا رحمة ، لا انسانية ، لا حياة ، لا شيء أبداً إلا «الوهابية أو السيف» .. وهذه السنة التي أسنتها يتحمل وزرها محمد عبدالوهاب من يومه الى يوم القيامة .. لانها ، كما ترى ، دعوة تقوم على الحرب والضحايا ، وتنطبع بطابع الدم والفوضى .

---

(١) كشف الارتياب للسيد الامين نقلاً عن جريدة الرأي العام الدمشقية عدد ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هـ .

ومن تلك السنة التي وقع فيها الاتفاق بين الشيخ والامير السعودي ، وهي سنة ١١٥٨ هـ ، الى يومنا هذا ، والتعاون قائم بين أبنائهما : توزيع مناصب ، وتقسيم غنائم ، ثم ايغال في البذخ والترف ..

ولنا أن نتساءل : هل كان محمد عبد الوهاب قائداً من قادة الدين ، ورائداً من رواد الشريعة الاسلامية ، أو كان رجلاً يحب الظهور والسيطرة ، وقد اتخذ الوهابية وسيلة الى ما أحب ؟ .

والجواب عن هذا السؤال يتوقف على أمرين : الاول أن نعرف خصائص رجل الدين ، والعلاقات الفارقة بينه و بين غيره . الثاني أن نقرأ بتأمل وتجرد تاريخ محمد عبدالوهاب ، ثم نرى : هل تنطبق عليه تلك الخصائص ، أولاً ؟

أما خصائص رجل الدين وعلاماته ، أو وظيفته ومهمته فهي أن يعلم أولاً وقبل كل شيء ان العقيدة تقوم على الاختيار وقوة الاقناع ، لا على الاكراه والسيف (١) وأن يكون مع الكتاب والقلم ، و يُستفتى فيفتي ، وأن يعلم و يعظ ، و يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل من خالف بالتي هي أحسن ، وأن يحيي الشعائر الدينية ، و يصلح ذات البين ، و يقف ضد الحروب والتطاحن والمشاغبات ، و يعمل على تصفية القلوب و بث المحبة والاخاء ، وأن يكون رحب الصدر لا يلحق الاذى بمخلوق ، كائناً من كان ، ويحب الخير للناس ، كل الناس ، حتى الذين يخالفونه في الرأي والعقيدة ،

---

(١) قد يقال : ان الاسلام أمر يقتل المرتد عنه . قلت : أجل ، لانه نقض العهد الذي قطعه على نفسه بالاسلام : وكل من نقض عهداً بعد أن أبرمه فهو مجرم تماماً كالقاتل والسارق ، ومن هنا قال الفقهاء : ان الرجل المسلم اذا ارتد عن فطرة يقتل ولا يسقط الحد بالتوبة كما لا يسقط لو تاب عن الزنا والسرقة .

و يعمل على اسعادهم ، والتضحية في سبيلهم ، و يهاجم الشر أينما كان ، وأن يكون وديعاً ورعاً زاهداً ، يرضى بما يجد ، لا تغلبه عاطفته ، وجشعه على دينه ، بعيداً كل البعد عن التحزبات ، ولا يجمع حوله الهمج الرعاع ، ويحرض على الفوضى والغزو باسم الجهاد ، ولا يتعاون مع أبناء الدنيا إلا فيما فيه الخير والهداية ، وأن يعتقد اعتقاداً جازماً ان أي سبب من أسباب التفرقة هو طعنة مسمومة في قلب الدين والامة و بالتالي ، لا يتنازل عن شيء من واجباته مهما كان الثمن .

هذا هو رجل العلم والدين .. فهل كان محمد عبد الوهاب كذلك ؟ . وندع الجواب للتاريخ وحده ، قال صاحب خلاصة الكلام : «قوي أمر محمد عبدالوهاب ، فخافته البادية» .. و بديهة ان صاحب الدين لا يخاف أحد منه ، بل هو ملجأ الخائفين ، وجاء في الحديث : «شر الناس من تخاف الناس من شره» وفي جغرافية «ملطبرون» ترجمة رفاعة بك : «وقوى ابن عبدالوهاب دعوته عن طريق السيف» . وفي تاريخ ابن بشر : «أمر محمد عبدالوهاب بالجهاد ، وحض عليه أتباعه ، فامتثلوا ، وأول جيش له تألف من سبع ركائب» . ومعلوم ان هذه الركائب غزت بلاد المؤمنين بلاد لا إله إلا الله ومحمد رسول الله .. وفي تاريخ نجد للآلوسي : «كتب ابن عبدالوهاب الى أهل نجد ــ وهم مسلمون ــ فبعضهم أطاع ، و بعضهم لم يحفل به فأمر أهل الدرعية بالقتال فأجابوه(١) .

وكان لمحمد عبد الوهاب أخ ، اسمه الشيخ سليمان بن عبدالوهاب ، وكان يشغل منصب القاضي في حريملة ، وكان كأبيه ينكر على أخيه محمد آراءه المتطرفة .. وألف كتاباً خاصاً في الرد عليه ، وعلى

---

(١) كشف الارتياب للسيد الامين ، وتاريخ الدولة السعودية ، لامين سعيد .

أتباعه ، أسماه «الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية» وجدت منه نسخة في مكتبة المقاصد ببيروت ، ونقلت عنه بعض الكلام فيما تقدم ، و يدل الكتاب على علم صاحبه ، وسعة إطلاعه ، وانه قد بذل جهداً كبيراً في الدرس ، وأمداً طويلاً في البحث ، وقد نعت أخاه محمداً في أول كتاب الصواعق بالجهل ، والضلالة ، قال في ص ٤ طبعة ١٣٠٦ هـ :

«فان اليوم ابتلى الناس بمن ينتسب الى الكتاب والسنة ، و يتبسط في علومهما ، ولا يبالي ــ أي أخوه محمد عبد الوهاب ــ من خالفه ، واذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل ، بل يوجب على الناس الاخذ بقوله ، ومفهومه ، ومن خالفه فهو عنده كافر ، هذا ، وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد ، لا والله ، ولا عشر واحدة ، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهال ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، الامة كلها تصيح بلسان واحد ، ومع هذا لا يصغى الى كلمة ، بل كلهم كفار ، أو جهال ، اللهم اهد هذا الضال ، ورده الى الحق» .

ومن ألمّ بسيرة ابن عبد الوهاب ، أو بطرف منها لم يشك في ان أتباعه وأنصاره كانوا يغزون و يشنون الغارات على المسلمين الآمنين بأمره وتحريضه ، وانهم كانوا يفرشون الارض بالصرعى والقتلى من أبناء نجد الذين لهم على الشيخ حق الجوار من النصرة والحماية والمواساة .. ولم يشك أيضاً ان التحالف الوثيق الذي حصل بين الشيخ ، و بين ابن سعود كان يهدف أول ما يهدف الى انتشار النفوذ والسيطرة عن طريق الغزو والغارات ، و«الاساليب الحربية» .. وأين هذا من الاسلام ، وعلماء الاسلام ؟ . لقد جاء الاسلام فيما جاء لمحاربة الظلم الذي كان يتمثل بغزو أهل الجاهلية بعضهم بعضاً فأحياه ابن عبد الوهاب .

في سنة ١٩٢٠ أفتى علماء النجف والازهر بالجهاد ، وتطوعوا

بأنفسهم للحرب ، وحملوا السلاح ، ولكن ضد الانكليز التى استعمرت مصر والعراق ، لا ضد من قال لا إله إلا الله ، ولا ضد مسالم كائناً من كان .

والغريب ان من تتبع سيرة محمد عبد الوهاب ، وقرأ كلماته لا يجد فيها أثراً لعمارة الارض ، ولا للسلم والرخاء ، ولا لسد عوز المعوزين ، ولا أية اشارة الى العدالة الاجتماعية وتحسين الاوضاع والحياة ، بل ترك ذلك كله ، ولم يلتفت اليه ، مع انه كان يسمع و يرى الناس من حوله يعيشون في ضنك من العيش ، وضيق في الحياة تتقطع عنهم أسباب الرزق إلا من شاة أو بعير، فاذا أجدبت السماء ماتوا جوعاً وعرياً ، لقد تجاهل كل ذلك على رغم ما كان له من النفوذ والسلطان ، قال فيلبي في تاريخ نجد : «ان محمد بن سعود وخليفته عبدالعزيز لم يقوما بأي مشروع ، أو يصدروا أي قرار ذي شأن إلا بموافقة الشيخ و بركته» .

واذا دل اعراض الشيخ عن التفكير بصلاح الناس في عيشهم وتحسين حياتهم ، اذا دل هذا على شيء ، فإنما يدل على أحد أمرين ، لا ثالث لهما : أما إنه لا يبالي أشقي الناس أو سعدوا ، وأما انه جاهل بروح الاسلام ، وبمقاييس الخير، وأسباب التطور والتقدم .. ان الذين يعرفون مقاصد الاسلام يعلمون علم اليقين ان أقرب الناس الى الله ، وأخلصهم في توحيده وعبادته هو أنفع الناس للناس ، أنفعهم في صلاح أحوالهم وتخفيف آلامهم ، وان أبعد الناس عن الله جل وعز هو من يسفك الدماء ، و ينهب الاموال ، و يسبي الذراري ، و يقحم الدين في أهوائه وأغراضه(١) .

---

(١) لا أعرف أحداً أضعف وأوضع ممن يزج بالدين في جميع خلافاته ، وفي كل هوى من أهوائه ولا أدل على نفاقه وضعته انه لو ملك القوة لداس على مقدسات الدين والضمير.

وقد ربى محمد عبد الوهاب أتباعه على مبدأ عدم التفكير بشيء يتصل بخير الناس ومنفعتهم ، وعدم الاهتمام إلا بالتعصب ، والحكم بالشرك على أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله .

و بعد ، فعلينا أن نفهم ونميز بين أهل الدين حقاً ، و بين الذين ينتحلونه لمآرب أخرى .. علينا أن لا نتهم أحداً ، ولا نثق بأحد إلا بعد أن نتعرف على سيرته من أوثق المصادر وأصحها .. علينا أن نقف موقف الشك والريبة من كل دين وعقيدة ، ومن كل من ينعته الناس بالامام المصلح ، أو بالمفسد المضلل ، حتى يظهر الحق جلياً ، ولن يظهر إلا بالبحث والتمحيص ، ومن درس حياة محمد عبدالوهاب يرى أول ما يرى انه يفرض آراءه بالقوة ، ولكن على المسلمين خاصة دون غيرهم .. وكل الناس يعلمون ان أية عقيدة ، أو رأي يحاول صاحبه أن يفرضه بالقوة فإنه يحكم على نفسه بنفسه بالفساد والبطلان .

مات محمد عبد الوهاب سنة ١٣٠٦ هـ ، وسار أبناؤه على سيرته يناصرون أبناء سعود ، و يناصرهم أبناء سعود ، و يسندون اليهم نفس المناصب التي كان ابن سعود يسندها لابيهم وزيادة بحكم تطور الزمن

وأختم هذا الفصل بسؤال تذكرته الآن ، وهذا هو : يقول الوهابيون : انهم أدركوا ووعوا معنى لا إله إلا الله .. و بديهة ان أول ما تدل عليه هذه الكلمة انه ليس لاحد كائناً من كان أن يتحكم بغيره ، أو يفرض عليه ما لا يتجاوب مع قلبه وعقله .. إذن ، كيف جمع الوهابيون بين الايمان بلا إله إلا الله ، و بين مبدئهم القائل : «الوهابية أو السيف» ؟ .. وكيف جمعوا بين هذا المبدأ ، و بين الادعاء بأنهم يجرون وراء الخير ، و يريدونه للناس ، تماماً كما يريدونه لانفسهم ، مع العلم بأن هذا المبدأ أساس البغضاء والشحناء ، والفوضى والفتن والحروب وكل

أنواع الفساد ..

بقيت أسئلة تركتها رغبة في الاختصار .. وما انتهيت من فصل . وأردت الشروع بما يليه إلا تواردت على خاطري تساؤلات ، دون أن أبحث عنها ، وأفكر فيها ، وقد أدونها كلها . أو بعضاً دون بعض ، وقد أتركها كلية ..

والآن ورد على خاطري سؤال آخر : لقد حصلت حروب بين المسلمين الذين كانوا يزورون القبور ، و يقولون : يامحمد اشفع لنا عند ربك ، و بين غيرهم كالصليبيين ومن قبلهم و بعدهم ، فهل كانت تلك الحروب قتالاً بين الكفار بعضهم ببعض ، أو كانت بين المسلمين ، و بين غيرهم .. وعلى الاول لا ينبغي أن تعد الحروب الصليبية وما اليها من تاريخ المسلمين ، بل تعد الغزوات والغارات التي شنها الوهابية على من آمن بالله وبمحمد واليوم الآخر ، وعلى الثاني لم يبق من موضوع لدعوة محمد عبد الوهاب ، أو للكثير من كلامه ومؤلفاته .

آل سعود

كان في القرن الخامس عشر رجل من عنيزة يسكن في الاحساء ، اسمه مانع ، وله ابن عم يقيم بقرية بنجد ، اسمها منفوحة ، واسم هذا النجدي درع ، وهو زعيم عشيرة الدروع هناك ، وكان موسراً ذا ممتلكات واسعة ، وفي احدى السنين زار مانع الاحسائي قريبه درعاً النجدي ، فأعطى هذا قطعتين كبيرتين من أرضه لضيفه ، فانتقل مانع بأهله الى نجد يستغل عطية قريبه درع . ومانع هذا هو الجد الاول لآل سعود .

وورث الارض من مانع ولده ربيعة ، وأضاف اليها أرضاً جديدة انتزعها من المجاورين ، ومات ربيعة ، وورثه ولده موسى ، وأضاف ملكاً الى ملك أبيه بالغزو والغارات ، ودانت له المنطقة ، وصارت له امارة صغيرة ومات موسى ، فخلفه ولده ابراهيم ، ومن بعده ولده فرحات ، ورزق فرحان ولدين ربيعة ومقرنا ، ورزق مقرن محمداً ، ورزق محمد سعوداً ، رأس الاسرة السعودية ، وقد استولى سعود على الدرعية انتزعها من آل معمر ، قال فيلبي : وهكذا لم ينقض جيلان ،

حتى غدا النازحون الغرباء سادة المنطقة التى آوتهم .. و بقيت الدرعية عاصمة الامارة السعودية الى عهد تركي الذي يأتي الكلام عنه ، ومات سعود ١١٤٤هـ فخلفه ولده محمد الذي نشأت الوهابية في عهده ، فاعتنقها وآزرها ، ومازال السعوديون عليها ، حتى اليوم .

وفيما يلي نتكلم بإيجاز عن كل أمير من الامراء السعوديين الوهابيين الذين جعلوا من الوهابية عقيدة متبعة ، وكان لهم الفضل الاكبر عليها ، ولولاهم لم تكن شيئاً مذكورا ، نتكلم بايجاز عن هؤلاء الامراء منذ الامير الاول ، حتى الملك عبدالعزيز والد الملك سعود .

محمد بن سعود :

تولى محمد بن سعود امارة الدرعية سنة ١١٥٨ هـ الى سنة ١١٧٨ ، وهو صاحب محمد عبدالوهاب وساعده الايمن الذي تكلمنا عنه في فصل سابق ، وأول حاكم وهابي وكانت نجد في عهد محمد بن سعود موزعة الى ست أو سبع امارات رغم ان عددها لم يتجاوز في ذاك الحين نصف مليون .. من تلك الامارات امارة الدرعية ، وفيها محمد المذكور ، ومنها امارة ابن دواس بالرياض ، وامارة آل معمر بالعينية ، وامارة آل هزال بنجران ، وامارة آل علي بالشمال ، وامارة آل جحيلان بالقصيم .

أما النظام الذي كانت تتبعه هذه الامارات فهو أشبه بالنظام القبلي ، يتمشى مع أهواء الامراء والاقوياء .. و يظهر ان المواطنين لم يتأففوا منه ، لانهم قد اعتادوا عليه وآباءهم من قبل ، حتى حسبوه أمراً طبيعياً .

ودارت بين محمد بن سعود أمير الدرعية ، و بين ابن دواس حروب وغزوات انتهت بالصلح بينهما .

عبد العزيز بن محمد :

اختار محمد بن سعود ولده عبد العزيز ولياً للعهد من بعده باقتراح محمد عبد الوهاب ، فكان أول أمير يبايع بولاية العهد من السعوديين ، ومنذ ذلك العهد أصبحت الامارة تنتقل بالمبايعة بولاية العهد تماماً كما فعل معاوية مع ولده يزيد ، وهذه من حسنات الشيخ محمد عبد الوهاب ، ومن غريب الصدف ان سيرة عبد العزيز تشبه سيرة يزيد بن معاوية من وجوه :

أولاً : ان كلاً منهما عاش في كنف أبيه الامير بالعز والدلال .

ثانياً : نشأ كل منهما جاهلاً لا يزينه علم ولا خلق ولا ثقافة .

ثالثاً : ما عرفا به من القسوة والغلظة ، والبعد عن الرحمة والرأفة .

رابعاً : الحكم عن طريق المبايعة بولاية العهد بمعاونة الحواشي والهوامش ، لا عن طريق الشورى والاختيار .

خامساً : ما وقع في عهدهما من القلاقل والفتن والحروب .

سادساً : غزا يزيد المدينة المنورة ، وأباح منها ما ذكره المؤرخون لوقعة الحرة ، وغزا مكة المكرمة ، وضرب الكعبة بالمنجنيق .

وألف عبد العزيز السعودي الوهابي جيشاً بقيادة ولده سعود ، وغزا مكة ، وهدم قبة مولد النبي ، ومولد أبي بكر ، وقبة السيدة خديجة ، وقبة زمزم ، والقباب التي حول الكعبة ، وهلك سنة ١٢١٨ هـ .

وفي سنة ١٢٢١ غزا المدينة ، وهدم قبور أئمة البقيع وغيرها ، وعن تاريخ الجبرتي : «لما استولى الوهابيون على المدينة المنورة أخذوا جميع ذخائر الحجرة النبوية وجواهرها ، حتى انهم ملأوا أربع سحاحير من الجواهر المحلاة بالماس والياقوت العظيمة القدر ، ومن ذلك أربع شمعدانات من الزمرد ، ونحو مئة سيف ملبسة قراباتها بالذهب

الخالص ، وعليها ياقوت ، ونصابها من الزمرد» . (كشف الارتياب للسيد الامين) .

سابعاً : قتل يزيد سيد الشهداء ، وريحانة رسول الله (ص) الحسين بن أميرالمؤمنين علي ، وذبح أطفاله ، وسبي نساءه في كربلاء .. وكذلك غزا عبدالعزيز كربلاء بجيشه الذي قاده ولده سعود ، وهدم قبر الحسين ، ونهب جميع ما فيه من الذخائر ، وأعمل السيف بالكربلائيين رجالهم ونسائهم وأطفالهم وكان ذلك سنة ١٢١٦ هـ .

ثامناً : ان فعلة يزيد وجيشه في كربلاء هزت العالم ، ونقم جميع المسلمين على يزيد بخاصة ، والامويين بعامة ، وهذا ما حصل بالذات حين فعل جيش عبدالعزيز ما فعل في كربلاء ، قال فيلبي في تاريخ نجد ص ٩٩ .

«اقتحم سعود بجيش أبيه كربلاء ، وبعد حصار قصير أعمل السيف في رقاب أهلها ، ودمر ضريح الحسين ، ونهب المجوهرات التي كانت تغطي الضريح ، وجمع كل شيء ذا قيمة في المدينة .. والحق يقال : ان عمله هذا هز العالم كله فضلاً عن الشيعة ، فقد كان نقطة انطلاق ركينة للانقلاب على الوهابيين ، كما أدى فيما بعد الى عواقب وخيمة على هذه الدولة» (١)

أرأيت الى هذا الشبه القوي بين يزيد بن معاوية من جهة ، وبين عبدالعزيز وولده سعود من جهة ثانية ، والى هذا الكره العميق في قلب

---

(١) عبد الله فيلبي هذا ، اسمه الحقيقي «سنت جون فيلبي» وهو انكليزي أسلم ، وأقام أمداً طويلاً في الاراضي السعودية ، وكان من الاصدقاء على حكامها ، ثم غضبوا عليه ، ومنعوا كتابه هذا تاريخ نجد .. ومن أسباب المنع تسجيله هذه الحقيقة التي تدين السعودية والوهابية وتدمغهم بالعار ..

كل مسلم ، لكل من يمس بسوء آثار الرسول وآله الكرام ؟ .. و بالتالي هل يتفق هذا النوع من القتل والنهب والسلب مع الاسلام وروح الاسلام الذي يدَّعيه الوهابية أو أنهم يعلنون شيئاً ، و يعتقدون و يفعلون شيئاً آخر ؟ .

هذي هي أيام عبد العزيز كلها حروب وفتن وتدمير وتخريب وضحايا ونهب وسلب وهتك للمقدسات الدينية ، وغارات متصلة ليل نهار على الفقراء المستضعفين ، والعراة والجائعين ، وعن هذا الطريق انتزع الرياض من ابن دواس ، وسائر امارات نجد من حكامها ، حتى أخضعها جميعاً لسلطانه ، وضم اليها عسيراً والحجاز والقطيف .

وقتل عبد العزيز سنة ١٢١٨ اغتاله رجل من الشيعة انتقاماً منه لما فعله بضريح الحسين في كربلاء ، قال فيليبي : لقد تنكر القاتل بزي درويش ، وذهب الى الدرعية ، و بقي فيها أياماً يصلي خلف عبدالعزيز ، وفي ذات يوم ألقى بنفسه على عبدالعزيز ، وهو يصلي ، وطعنه بمدية في ظهره اخترقت الى بطنه ، وعجلت به الى مقره الاخير .. وتكاثر الناس على القاتل ، وقتلوه .

و بعد هذا الحادث جرت عادة آل سعود على أن يقف حارسان على رأس الامير ، وهو يؤدي الصلاة خوفاً من الاغتيال .. ولكن الحاكم العادل العامل بكتاب الله ، وسنة نبيه يصلي ، و يتجول ، و يرتاد أي مكان بدون حارس ، لان العدالة تحرسه ، والدين يحفظه ، تماماً كما كان الرسول الاعظم (ص) وخلفاؤه الهداة الاخيار .

سعود بن عبد العزيز :

وحل سعود محل أبيه عبد العزيز ، وأول عمل قام به غزو بلدة الزبير والبصرة من أرض العراق ، وأعمل فيهما القتل والسلب ، وهدم قبر

طلحة والزبير، وذلك سنة ١٢٠٨ ، وغزا نجران سنة ١٢٢٠ ، والشام سنة ٢٥ ، ودوخ حوران قتلاً وسلباً ، ووصل ، أو كاد الى أبواب دمشق .

وسنة ١٢٢٦ أرسل محمد علي باشا ولده طوسون لتحرير الحجاز من الوهابيين ، فصدوه في الكرة الاولى ، وتغلب عليهم في الثانية ، واستولى على مكة والمدينة ، وحاول أن يفتح نجداً ، فلم يفلح ، وسنة ١٢٢٨ هـ حج محمد علي باشا ، وعزل الشريف غالباً ، وأرسله منفياً الى سلانيك ، وعين مكانه الشريف محمد بن عون ، فانتقلت الامارة من فرع الى فرع آخر من أسرة الاشراف ، ومحمد بن عون هو جد الشريف حسين أبي فيصل ملك العراق ، وعبدالله ملك الاردن .

وتجدر الاشارة الى ان سعود هذا هو أول أمير أقام هيئة للامر بالمعروف ، ومهمتها التجوال في الاسواق أوقات الصلاة . تحض الناس على أدائها ، ومازالت هذه الطريقة متبعة الى اليوم عند السعوديين ، وتطورت بمرور الايام ، حيث اتسع اختصاصها ، وأصبحت تحمل العصي ، وتجول في الاسواق والشوارع تنهال ضرباً بها على حليق الذقن ، أو من يلمس قبر الرسول الاعظم (ص) أو قبر إمام من أئمة البقيع ، وغير ذلك مما يخالف عقيدة الوهابية ، بل كانوا الى الامس القريب يضربون المدخنين علناً ، وان كانوا غرباء عن الديار ــ كما قيل ــ .

ودامت امارة سعود من سنة ١٢١٨ الى سنة ١٢٢٩ .

عبد الله بن سعود :

وتولى بعد سعود ولده عبد الله ، فنازعه الامارة عمه عبد العزيز ، وانقسمت الاسرة على نفسها ، وتفرقت كلمتها .

وسنة ١٢٣١ هـ جهز محمد علي باشا جيشاً بقيادة ولده ابراهيم فتوجه ابراهيم الى الحجاز ، وكانت لم تزل مع أبيه ، ثم سار منها الى

نجد ، يتواغل فيها شيئاً فشيئاً الى أن وصل سنة ١٢٣٣ الى الدرعية عاصمة الوهابيين ، و بعد حصار دام ٥ أشهر استسلم أميرها عبدالله بن سعود ، فأرسله ابراهيم الى الاستانة ، حيث قتل ومن معه في ميدان اياصوفيا .

وطغى ابراهيم باشا و بغى في البلاد ، وأكثر فيها الفساد ، وصادر أموال آل سعود ، وآل محمد عبدالوهاب ، وأجلى الكثير من رجالهم ونسائهم وأطفالهم عن الديار ، ونفى الكثير منهم الى مصر ، وكان هذا جزاء وفاقاً لما فعلوه من قبل بأمة محمد من المظالم والمآثم ، وما ارتكبوه من الخيانة لله وكتابه ، وللنبي وسنته .. وهكذا كل ظالم لابد أن يبتلى بأظلم وأغشم .

استمر حكم عبد الله بن سعود من سنة ١٢٢٩ الى سنة ١٢٣٤ .

تركي بن عبد الله :

كان لعبد الله بن سعود المتقدم ذكره ابن عم ، اسمه تركي بن عبدالعزيز بن سعود ، ومحمد هذا الذي هو الجد القريب لتركي هو صاحب محمد عبدالوهاب ، وأول أمير سعودي وهابي .

وكان تركي قد فر من وجه ابراهيم باشا تاركاً الدرعية تحت جنح الظلام ، وراح ينتقل في صحراء نجد داعياً العربان الى احياء مجد الاسلاف ، وتزوج أثناء تجواله بامرأة من آل تامر ، ولدت له ذكراً ، أسماه «جلوي» لانه ولد في زمن الجلاء ، فتجمع حول تركي أول ما تجمع ثلاثون رجلاً ، ثم انضمت اليه بعض القبائل ، فاسترد الرياض سنة ١٢٣٥ من باشا مصر ، واتخذها عاصمة له ، ومن يومه انتقلت عاصمة السعوديين من الدرعية الى الرياض ، ومازالت ، وكان لتركي ولد ، اسمه فيصل ، نفاه ابراهيم باشا مع من نفى الى مصر ، ولما سمع

بخبر أبيه هرب ، وجاء اليه .

ومما قلنا يتبين ان الامارة السعودية الوهابية ابتدأت بمحمد بن سعود صاحب محمد عبدالوهاب ، ثم ولده عبدالعزيز ثم ولده سعود ، ثم ولده عبدالله الذي انتزع منه الامارة ابراهيم باشا ، وقتل في الاستانة .

وكان انتصار ابراهيم على السعوديين سبباً لانتقال الامارة من فرع عبدالعزيز بن محمد بن سعود الى فرع عبدالله بن محمد بن سعود الامير الوهابي الاول عن طريق عبدالله بن محمد بن سعود ، وعبدالله هذا الذي هو أبو تركي لم يتول الامارة ، وإنما تولاها أخوه عبدالعزيز الامير السعودي الوهابي الثاني ، فتركي ــ إذن ــ هو الامير السعودي الوهابي الاول من الفرع الثاني لمحمد بن سعود ، و به انتقلت الامارة من سلالة عبدالعزيز بن محمد بن سعود الى سلالة أخيه عبدالله بن محمد بن سعود ، ومازالت فيها حتى اليوم .

وكبر على نسل عبد العزيز ان تخرج الامارة منهم ، فدبر أحد السعوديين ، واسمه مشاري ، أمر اغتيال تركي ، وتم له ذلك ، ونادى مشاري بنفسه أميراً ، ولم تطل أيامه ، حتى قتله فيصل بن تركي المغدور ، واسترجع امارة أبيه .

واستمر حكم تركي الذي أعاد النفوذ الى أسرته ، استمر من سنة ١٢٣٥ الى سنة ١٢٤٩ .

فيصل بن تركي :

تولى فيصل بن تركي الحكم بعد أبيه ، ولكن محمد علي باشا لم يمهله طويلا ، فأرسل حملة كبرى الى نجد ، ومعها خالد بن سعود الذي كان مع السعوديين المنفيين بمصر ، فدخل جيش محمد علي باشا ، واستولى على العاصمة بلا مقاومة بعد أن فر منها فيصل ، فأقام المصريون فيها خالد

بن سعود حاكماً مكان فيصل ، وذلك سنة ١٢٥٣ هـ . وكانت الحجاز لم تزل بيد محمد علي .

وسنة ١٢٥٤ ظهر فيصل مع رجال من أتباعه ، وحاول طرد المصريين ، ولكنه لم يفلح ، ولم يجد سبيلاً الى الاستسلام ، فاستسلم ، ونفي الى مصر ، مع من نفي فيها من السعوديين .

و بعد أن قويت شوكة محمد علي بخضوع الجزيرة العربية له بما فيها نجد والحجاز وعسير وتهامة استولى على فلسطين ولبنان وسوريا ، و بلغ أبواب الاستانة ، ولكن الحلفاء اضطروه الى التراجع والانسحاب من البلاد التي احتلها ، وتسليمها للا تراك ، ما عدا مصرا ، حيث منحت له ولسلالته يديرونها ادارة باشوية باسم سلطات الاستانة . وذلك سنة ١٢٥٦ هـ .

وفي سنة ١٢٥٩ . عاد فيصل من مصر الى نجد هو والامراء السعوديون الذين نفوا اليها من قبل ، وحلوا ضيوفاً في مدينة حائل شمالي نجد على أميرها ابن الرشيد ، وكان من قبل تابعاً للسعوديين ، بل ان فيصلاً هو الذي عينه حاكماً لحائل قبل الاحتلال المصري مكافأة له على مناصرته للقضاء على فتنة مشاري الذي قتل أباه تركياً(١) .

وقد رد له ابن الرشيد هذا الجميل ، فاحتفى بفيصل ، وقدم له الرجال والمال ، ودعا للالتفاف حوله ، وأول من استجاب أهل عنزة ، وزحف فيصل على الرياض بمعاونة ابن رشيد ، وكان فيها أمير يدعى عبدالله بن ثنيان ، أقامه المصريون حين جلائهم عنها ، فاسترجعها فيصل منه بعد مقاومة ، وحصار دام ٢٠ يوماً ، وأسر ابن ثنيان ، ثم عفا عنه .

---

(١) فيليبي ص ١٦٩ .

وما استتب الامر لفيصل ، حتى شرع باسترجاع ما أخذ من السعوديين ، فأخضع نجداً وعسيراً والاحساء والقطيف ، ودان له بالطاعة أمراء البحرين ، ومسقط ، وسواحل عمان .

مات فيصل بن تركي سنة ١٣٨٢ هـ .

عبد الله بن فيصل :

كان لفيصل بن تركي أربعة أولاد : عبد الله ، وهو الاكبر ، وسعود ، ومحمد ، وعبدالرحمن ، وكان فيصل قد بايع ولده الاكبر عبدالله بولاية العهد طبقاً للتقاليد المتبعة في البيت السعودي ، ولكن سعوداً نازع أخاه عبدالله ، وثار عليه ، واستعرت الحروب الاهلية بين الطرفين ، ونشبت الفتن والقلاقل ، واستمرت الحرب بين الاخوين ٢٥ عاماً ، مما أدى الى ضعف الدولة ، وذهاب سلطانها ، وانتقاض حكام المقاطعات عليها ، واستقلال كل بدو يريته ، كما هو الشأن في توزيع أسلاب الضعيف ، واحتل الاتراك الاحساء ، والقطيف .

واستطاع سعود أن ينتزع الرياض من أخيه عبدالله بعد أن فر منها ، ونزل في ديار عتبة ، ومات سعود في الرياض سنة ١٢٩٠ ، وتولى بعده أخوه عبدالرحمن والد الملك عبدالعزيز الشهير ، وجد الملك سعود الحالي ولكن أبناء أخيه سعود انتفضوا عليه ، وطردوه من الرياض ، فالتجأ الى أخيه عبدالله في ديار عتبة ، لاجيء الى لاجيء ، واستغل عبدالله هذا الخلاف ، وأسرع الى الرياض بمعاونة بعض العربان ، فجلى عنها أولاد سعود قبل وصوله .

وما استقر فيها ، حتى هاجمه محمد بن سعود ، ودارت بينهما معارك طاحنة ، فاستنجد عبدالله بابن رشيد أمير حائل ، وقبل أن تصل النجدة منه تغلب محمد على عمه عبدالله ، ودخل الرياض ، وسجن عبدالله ،

ولم يطل الامد ، حتى وصل ابن رشيد ، ففر محمد بن سعود ، وأخرج ابن رشيد عبدالله من السجن ، ولكن لم يرجعه الى الحكم ، بل عهد به الى أخيه عبدالرحمن الذي كان قد تولى الامارة بعد أخيه سعود ، وقفل ابن رشيد راجعاً الى حائل بعد أن ترك في الرياض مندوباً من قبله يراقب عبدالرحمن ، واسم هذا المندوب سالم السبهان ، و بهذه الحادثة أصبح ابن رشيد سيد نجد والمسيطر عليها .

ومات عبد الله بن فيصل سنة ١٣٠٧ هـ .

عبد الرحمن بن فيصل :

هو الذي تولى الامارة أياماً بعد أخيه سعود ، وهو الذي طرده ابن أخيه محمد بن سعود ، وهو الذي أقامه ابن رشيد ثانية وهو أيضاً والد الملك عبدالعزيز الشهير .

أشرنا الى ان ابن رشيد أقام مندوباً ورقيباً على عبدالرحمن ، وأراد عبدالرحمن أن يتخلص من هذا المندوب الرقيب وهو سالم السبهان ، فسجنه ، وقيل : إنما سجنه ، لانه حاول اغتياله بأمر ابن رشيد ، ومهما يكن ، فقد توجه ابن رشيد الى الرياض ، وأطلق سراح السجين .

ولما رأى عبد الرحمن قوة ابن رشيد بنجد شعر انه بين أمرين : أما أن يحارب ابن رشيد ، وأما أن يخضع له كموظف عنده .. ولا طاقة له على الاولى ، ولا تطيعه نفسه على الثانية ، فلم يبق أمامه إلا الرحيل .. وهكذا فعل .. رحل عن نجد بأهله سنة ١٣٠٩ ، وظل متنقلاً في الامصار .. فذهب أولاً الى الاحساء ، ثم الى الكويت ، ثم الى قبائل بني مرة بقرب الربع الخالي ، ثم الى قطر ، ومنها عاد الى الكويت ، واستقر فيها مع عائلته وأولاده ، وكان عمر ولده عبدالعزيز آنذاك عشر سنوات .

وعين له أمير الكويت الشيخ محمد بن الصباح مرتباً الى أن خصصت له الدولة العثمانية ستين ليرا عثمانية في الشهر، فقطع ابن الصباح عنه المرتب، وعاش هو وأفراد عائلته في شدة وضيق.

الملك عبد العزيز أو الاسطورة :

عبد العزيز بن عبد الرحمن أول من لقب بالملك من السعوديين..

كانت الشمس منذ القديم كما نراها اليوم تطلع من المشرق، وتتوارى في المغرب، ولم يصادف في يوم ان أشرقت حيث تغيب، أو غابت حيث تشرق، أما الاحداث التي تقع بين الشروق والغروب فهي كل يوم، بل كل ساعة في شأن.. فور وغور، وصعود ونزول.. لا قاعدة، ولا ضابط، ولا مقياس ينتظم كل شيء، ولا يشذ عنه شيء.. ترى النجاح منك قاب قوسين أو أدنى، واذا أنت في الارض، والنجاح في السموات العلى، وترى نفسك غريقاً تتقاذفك الامواج، وانك ستلفظ النفس الاخير، واذا بك على اليابسة تتنفس الصعداء فرحاً وسروراً.

وترى هذا يزحف كالسلحفاة، و ينطلق ذاك الى المريخ، و بين طرفة عين وانتباهتها ترى الزاحف في الطليعة، والسابق جماداً لا يستطيع الحراك.

ومهما شككت فاني لا أشك أبداً ان الحكمة من ذلك ان لا ييأس الضعيف، فيذل ويخنع للقوي، وأن لا يطغى القوي فيتحكم بالضعفاء، وان لا يحزن الفاقد، ولا يفرح الواجد، وان يضع الجميع نصب أعينهم ان الغالب قد يصير مغلوباً، والمغلوب غالباً.. والتاريخ وحده يعطينا الدرس الصحيح، لا النظريات ولا الفلسفات(١).

---

(١) ومن هنا أو من ايماناً لا يشوبه ريب بأن اسرائيل ستمحى من الوجود، وان بلغت

وإليك هذا الدرس من التاريخ القريب : لقد استرجع الفتى البالغ من العمر ٢٠ عاماً ما كان لآبائه وأجداده ، وهذا الفتى هو عبدالعزيز اللاجيء وأبوه عبدالرحمن في الكويت ، استرجع ملك الآباء والاجداد ، ولكن لا بالمال ، ولا بالجيوش ، ولا بالانتخاب ، ولا بتأليف الاحزاب وإعلان الشعارات المغرية ، ولا بالاضراب والمظاهرات ، ولا بتغير الزمن بسبب حرب عالمية ، ولا بشيء من ذلك ، بل باسطورة ، هذا موجزها .

كان عبد العزيز وأبوه عبد الرحمن لاجئين عند الشيخ مبارك أمير الكويت ، وذات يوم جاء الفتى عبدالعزيز الى الشيخ مبارك ، وقال له : أريد أن أنقذ نجداً من ابن رشيد ، فهل تساعدني بالمال والعتاد ؟ .

وسخر الشيخ من الفتى ، ولكنه لم يشأ أن يصدمه ، فأعطاه مئتي ريال ، وثلاثين بندقية ، وأربعين جملاً ، فأخذها ومضى هو و بعض أرحامه وأصحابه ، ولا يتجاوز عدد الجمع أربعين رجلاً .. وكانوا يسيرون ليلاً ، و يتوارون نهاراً ، واذا احتاجوا الى الطعام اختطفوا شاة أو بعيراً من هنا وهناك ، وظلوا يواصلون السير الى أن بلغوا الرياض ليلاً ، وهم أهلها ، وأعرف الناس بما فيها ، ومن فيها ، فتسلقوا الحائط الى منزل الحاكم الرشيدي عجلان ، وطافوا في أنحائه ، و بدأوا بالخدم ، فألقوا القبض عليهم ، وشدوا وثاقهم ، واقتحم عبدالعزيز ببندقيته حجرة الحاكم ، فوجد زوجة عجلان وأختها ، ولم يجد عجلان .

.ولما سألهما عنه قالتا : انه يبيت في الحصن المجاور للبيت ، وكان

من القوة ما بلغت ، وآزرها الغرب والشرق ، وهل في قول الله ريب : «ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس و باءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ــ آل عمران ١١٢» ؟ . ثم كيف تعيش دولة مبدأها وشعارها : «مادمت فليهلك العالم كله» ؟ .

الفجر قد طلع ، فأسبغ القوم الوضوء ، وصلى بهم عبدالعزيز صلاة الصبح جماعة في بيت عجلان ، ثم جلسوا في البيت كأنهم أهله وأصحابه .. وما أن طلعت الشمس ، حتى فتح باب الحصن ، وحاول المهاجمون اقتحامه ، واغتيال الحاكم ، واذا به يخرج من الحصن متوجهاً الى بيته ، فاستقبله عبدالعزيز برصاصة أصابته في غير مقتله ، ولكن ابن جلوي السعودي أجهز عليه ، وأرداه قتيلاً ، وذبح المهاجمون عدداً كبيراً من حامية الحاكم .

وما شاع خبر هذه المفاجأة في المدينة ، حتى استولى عليهم الذهول ، وخافوا سوء العاقبة ، فسارعوا الى تقديم الولاء والطاعة .. وذلك في ٣ شوال سنة ١٣١٩ هـ . الموافق ١٥ كانون الثاني سنة ١٩٠٢ م . ونقل عبدالعزيز والده من الكويت الى الرياض ، واحتفظ الوالد بلقب امام ، والولد برئاسة الحكومة ، وقيادة الجيش ، وانتقل من نصر الى نصر ، فقتل ابن رشيد واستتب له الامر بنجد ، وأخذ الاحساء والقطيف ، والحجاز وعسير ، ومات أبوه عبدالرحمن سنة ١٩٢٨ ، وله من العمر ٧٨ عاماً ، مات بعد أن رأى ولده ملكاً على جميع الاراضي الواقعة الآن تحت سيطرة حفيده سعود بن عبدالعزيز .

وكما كان ابن رشيد حليفاً مخلصاً للا تراك ، فقد كان عبد العزيز حليفاً دائماً ، وصديقاً وفياً للانكليز ، فكان يذكرها و يشكرها في خطبه وغيرها ، وهذا مثال من أقواله بحق الانكليز ، جاء في خطبة ألقاها بمكة المكرمة عام ١٣٦٢ ، قال :

«ولا يفوتني في هذا الموقف أن أتمثل بأنه من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، فأثني على الجهود التي قدمتها الحكومة البريطانية بتقديم بواخر الحجاج ، وتسهيل سفرهم ، كما أثني على مساعدتها ، ومساعدة الحلفاء القيمة ، ومتابعتهم تتميم تموين البلاد ، وما يحتاجه الاهالي من

أسباب المعيشة وغيرها ، وكذلك لابد من الاشارة الى ان سيرة البريطانيين معنا طيبة من أول الزمن الى آخره» .

و يعلم الكبير والصغير ان الانكليز والحلفاء ، وأية دولة استعمارية يستحيل أن تفعل شيئاً بقصد الخير والانسانية ، واذا فعلت مع بلد من البلدان ما يبدو كذلك فانما تتخذ منه وسيلة الى التسرب الى أسواقه ، والسيطرة على مقدراته .. ان الاستعمار ينافق و يتصنع ، ليمتص دماء الشعوب ..

وغريب أن تخفى هذه الحقيقة على الملك عبد العزيز ، وأن يقول ، وهو الوهابي الذي يصلي في أول الوقت ، حتى في بيت عدوه عجلان .. غريب أن يقرن شكر الله بشكر الانكليز ، و يقول : من لم يشكر الناس ــ أي الانكليز ــ لم يشكر الله و هذا ، مع العلم بأن الوهابية ــ كما تقدمنا ــ يقولون بفساد الصلاة وجميع العبادات ان أديت عند قبر نبي أو ولي ، لانها ، والحال هذه ، تكون مشوبة بعبادة صاحب القبر ، أو تؤدي اليها بزعمهم .. إذن ، كيف ربط الملك عبد العزيز شكر الله بشكر الانكليز ، بحيث لا يقبل الاول بدون الثاني ؟ .. و بعد أن ضعف الانكليز حل محلهم الاميركيون .

ودام حكم عبد العزيز ٦٤ سنة من سنة ١٣٠٩ الى سنة ١٣٧٣ هـ . وتولى الحكم بعده أولاده سعود ثم فيصل فخالد ففهد الملك الحالي .

مصادر هذا الفصل :

كشف الارتياب للسيد محسن الامين ، وتاريخ نجد لفيلبي ، وتاريخ الدولة السعودية لامين سعيد ، والامام العادل ج ١ و٢ لعبد الحميد الخطيب . وتاريخ الكويت السياسي ج ١ و٢ و٣ لحسين خلف الشيخ خزعل .

تبرير لا اعتـــذار

كـل كـلـمـة مـن صـفـحات هذا الكتاب إنما كتبتها بنية الدفاع لا الهـجـوم ، و بـقصد الوفاء للاسلام ، لا بقصد الحرب على الوهابية ، كما هـو شـأنـي مع كـل مـن افـتـرى وتـهـجـم .. ومـا أنـا ولـما اعتقده محمد عـبـد الـوهـاب ، وغير محـمـد عـبـد الـوهـاب ، فـإن لكل انسان عقيدته ، وثقافته ، وسلوكه في هذه الحياة ، وهو وحده المسؤول عما يدين و يفعل ، ولا يحـق لانـسـان أن يـتـفـحـص عـن نـوايـا أي انـسان وأقواله وأفعاله ، مادامت لا تعني أحداً سواه ، ولا تتصل بغيره من قريب أو بعيد .

وأقـسـم انـي ما أردت من ردودي السابقة واللاحقة أن أحمل معاناً على عـقـيـدة التشيع ، بل كتبت ، وأنا أعلم ان الذي أرد عليه لن يتخلى عـن أخـطائه المتزمتة الموروثة ، وإنما هدفي الاول والاخير أن أقطع الطريق عليه ، وعلى كل من يحاول الدس والافتراء ، وأن يعلم اني له بالمرصاد ، وانه لن يجد الى الهرب والنجاة من سبيل .

مـالي ولمـحـمد عبد الوهاب ، وعقيدته ودعوته ، بخاصة بعد أن أقدم

على ما قدم ؟ ..

ما شأني وشأنه لولا قوله : «و بسبب الرافضة ــ يريد الشيعة ــ حدث الشرك وعبادة القبور.. وان بعض السلف أخرجهم من الثنتين والسبعين فرقة(١) وقول حفيده عبدالرحمن «والقتل لمن عاند منهم ، ولم يتب(٢) » .

بهذه الصورة أبرز الشيعةَ محمد عبد الوهاب ، وانهم سبب الشرك ، وأسوأ من الفرق الهالكة .. و بالقتل حكم عليهم حفيده عبدالرحمن .. واني على يقين بأن كلاً من الجد والحفيد لم يقرأ كتاباً واحداً ، ولا صفحة من كتاب للشيعة ، ولا اجتمع مع عالم منهم أو جاهل ، شأنهم في ذلك شأن كل من افترى وتهجم .

ولو أسدل الستار على قول محمد عبد الوهاب ، وانطوى مع الايام لكنا معذورين في تجاهله والتجاوز عن أخطائه ..

أما وقد صار عقيدة راسخة ، ومثلاً أعلى للدين والحقيقة عند الوهابية ، وانعكس في نظراتهم وآرائهم في الشيعة ، لا لشيء إلا لانه جاء على لسان محمد عبدالوهاب ، وحفيده عبدالرحمن ، أما والحال هذه ، فان السكوت والتجاهل ربما يعد اعترافاً ضمنياً بأن هذا القول علم لا جهل ، وعدل لا تحامل .. وكيف نستسلم للكذب والافتراء ، ولا نرد بقوة وعزم ، ولدينا القوى التي تصد المهاجمين والمفترين ؟ ..

و بعد ، فان من يقرأ كتاب التوحيد ، أو انجيل الوهابية على الاصح يراه متخماً بالثرثرة بالشرك ، واخراج المسلمين من الدين والاسلام ، وهذا طرف من العناوين التي جاءت في هذا الكتاب «من الشرك

---

(١) كتاب التوحيد باب ما جاء من التغليظ ص ٥٧ من الرسائل التسع طبعة ١٩٥٧ .

(٢) فتح المجيد ص ٤٩١ طبعة ١٦٥٧ .

لبس الخيط والحلقة .. من الشرك النذر لغير الله .. من الشرك الاستعاذة بغير الله .. من الشرك الاستغاثة بغير الله ..» ومن أقواله : «الطيرة شرك .. لعنة زوارات القبور .. لعنة سراجها»(١) ..

وبعد ، فان كان «بسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور» فمن هو السبب ــ ياترى ــ لهذا الشرك المتراكم واللعنات المكدسة في كلام محمد عبدالوهاب ؟ .. حقاً ان صاحب كتاب التوحيد يستحق شهادة الدكتوراه في التفكير!!!

---

(١) لعنة الزوارات والسراج جاءت في كتاب التوحيد المطبوع مع الرسائل التسع ص ٥٩ طبعة ١٩٥٧.

الفهرس

المقدمة ١٤
من وحي الحج ٢١
فصل الخصومات ٢٨
مع علماء الوهابية ٣٤
المسلم والدولة الاسلامية ٦٥
عقيدة الوهابية ٧١
التوحيد والعبادة ١٠٣
محمد عبد الوهاب ١١١
آل سعود ١٢٢
تبرير ولا اعتذار ١٣٧

وقد كتب السيد إحسان عبد اللطيف البكري كراساً ضم أسماء الكتب التي ردَّ أصحابها فيها (وهم من أهل السنة) على الوهابيين سماه: الوهابية في نظر علماء المسلمين وها نحن ندرجه فيما يلي إتماماً للفائدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي المسلم

هل تعرف حقيقة الوهابية ؟

وهل تعلم أنَّ المذهب الوهّابي ابتدعه محمد بن عبدالوهاب النجدي المتوفى عام ١٢٠٦ هـ ، وأنه خارج عن مذاهبنا الاربعة الاسلامية ، أم لا تعلم ذلك ؟

ثم هل تعلم أيضاً أنَّ مذاهبنا الاربعة تحكم على أتباعه بالضلالة ، والخروج عن سبيل المؤمنين ؟ وقد قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى ، و يتَّبع غير سبيل المؤمنين ، نوَلِّه ما تولّى ، ونصله جهنَّم ، وساءت مصيراً) ؟ صدق الله العظيم .

وهل تعلم أنَّ جماعة من علمائنا أهل السنة والجماعة على اختلاف مذاهبم أصدروا كتباً في الرد على مبتدع هذا المذهب وعلى أتباعه ، أم لا تعلم ذلك ؟

وهل تعلم أن إسماعيل باشا البغدادي ذكر في «هدية العارفين» ج ٢ ص ٣٥٠ أن محمد بن عبدالوهاب له (كتاب في مسائل خالف فيها الرسول (ص)) ؟

وهل تعلم أيضاً أن المرحوم الشيخ سليمان بن عبدالوهاب النجدي شقيق محمد بن عبدالوهاب هو أوّل من كتب كتاباً في الردّ على أخيه

هذا المبتدع أسماه (فصل الخطاب في الردّ على محمد بن عبدالوهاب) ذكره اسماعيل باشا البغدادي في (ايضاح المكنون) ج ٢ ص ١٩٠ طبع بيروت دار الفكر عام ١٤٠٢ هـ، وعمر رضا كحالة في (معجم المؤلفين) ج ٤ ص ٢٦٩ طبع بيروت دار احياء التراث العربي، وكتب أيضاً ردّاً على المذهب الوهابي كتاباً أسماه (الصواعق الإلٰهية في الردّ على الوهّابية)، ثم توالت عليه الردود والنقود من علماء الحجاز ومصر والهند وسوريا والعراق من أهل السنّة والجماعة، بل ومن الرافضة ايضاً.

أجاب الشيخ سليمان بهذا الكتاب حسن بن عيدان حيث طلب ما عنده من أدلّة على بطلان هذا المذهب وقد أثبت له فيه جهل الوهّابيّين وضلالتهم، وعدم لياقتهم للاستنباط، كما فنّد فيه جملة عقائدهم الزائفة وآرائهم الباطلة المنحرفة في تكفيرهم من لا يوافقهم من المسلمين على عقائدهم الفاسدة، في النذر والاستشفاع، والدعاء، والسؤال من الميت، وغير ذلك مما يفعله المسلمون كافة، ولا يرون به بأساً شرعاً، من أهل السنّة كانوا، أم من غيرهم و يعتقدون صحتها، و يبرهنون على كل واحد واحد منها بأدلة شرعية معتبرة، وصحاح متواترة، وإجماعات محكيّة عن أئمتنا الأربعة، رضي الله عنهم.

طبع هذا الكتاب للمرة الثالثة في استانبول تركية عام ١٣٩٩ هـ

قال الشيخ سليمان رحمه الله في ص ٤١ منه وهو يخاطب الوهّابيّين:

«إن الفرقة الناجية وصفها رسول الله صلّى الله عليه وسلم بأوصاف، وكذلك وصفها أهل العلم، وليس فيكم خصلة واحدة منها».

فهو رحمه الله ينكر عليهم ادعاءهم بأنهم ناجون يوم القيامة، ذلك لعدم اتصافهم بأوصاف الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة المحكوم عليها بالهلاك، وأنها من أهل النار.

● وممن كتب ردّاً على المذهب الوهابي زعيم الطريقة النقشبندية في بغداد المرحوم الشيخ داود بن سليمان البغدادي من خلفاء الخالدية النقشبندية، كتب (صلح الإخوان في الردّ على من قال على المسلمين بالشرك والكفران) في ردّ الوهابية (١) في تكفيرهم المسلمين الذين لا يوافقونهم على عقائدهم الفاسدة.

● وله أيضاً (المنحة الوهبية في ردّ الوهابية) طبع للمرة الثالثة في استانبول تركية عام ١٩٧٨ م.

● وممن كتب في الردّ على الوهّابية ابراهيم بن عبد القادر الرياحي التونسي المالكي. ذكر ذلك عمر رضا كحالة في (معجم المؤلفين) ج ١ ص ٤٩.

● وممن كتب ردّاً عليهم أيضاً رئيس الطريقة الرفاعية المرحوم الشيخ ابراهيم الراوي. كتب: «الأ وراق البغدادية في الحوادث النجدية» ردّهم فيه بأدلّة جليّة من الكتاب والسنّة. طبع في بغداد عام ١٣٤٥هـ في مطبعة النجاح، وفي استانبول عام ١٩٧٦ م.

● وممن كتب ردّاً عليهم الخواجة حافظ محمد حسن، كتب «العقائد الصحيحة في ترديد الوهابية النجدية» فنّد فيه عقائدهم كلّهاً، واحدة فواحدة. وأبطل حججهم عليها كل ذلك بأدلة دامغة، و براهين قاطعة. معتمداً في إبطالها على كتاب الله، والسنّة النبوية المعتمد عليها، ثم على العقل، والعرف العام. طبع في أمرتسر الهند. عام ١٣٦٠ هـ، وأعيد طبعه بالأ وفسيت في استانبول. تركية عام ١٣٩٨ هـ. نشره الاخ حسين حلمي استانبولي.

● وممن كتب رداً عليهم الشيخ جميل أفندي الزهاوي كتب «الفجر الصادق في الردّ على منكري التوسل والكرامات والخوارق» طبع في استانبول تركية عام ١٣٩٦ هـ.

● وممن كتب ردّاً عليهم حمد الله الداجوي، كتب «البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر» طبع في استانبول عام ١٩٧٥ م.

● وممن كتب ردّاً عليهم عامر القادري معلم بدار العلوم القادرية في كراجي. الباكستان كتاباً أسماه «المدارج السنيّة في ردّ الوهابيَّة» طبع في استانبول تركية عام ١٩٧٨، طبعه بالأوفسيت حسين حلمي بن سعيد استانبولي.

● وممن كتب ردّاً عليهم إبراهيم بن عثمان السهنود المصري. كتب «سعادة الدارين في الردّ على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية» طبع في مصر عام ١٣٢٠ هـ.

● وممن كتب في الردّ عليهم عبدالله بن عيسى الصنعاني، كتب «السيف الهندي في إبانة طريقة الشيخ النجدي. أعني عبدالوهاب الوهابي» ذكره اسماعيل باشا في «هدية العارفين» ج ١ ص ٤٨٨.

● وممن كتب ردّاً عليهم الشيخ أحمد سعيد السرهندي النقشبندي. كتب «الحق المبين في الردّ على الوهابيّين» ذكره في «هدية العارفين» ج ١ ص ١٩٠، وعمر رضا كحالة في «معجم المؤلفين» ج ١ ص ٢٣٢.

● وممن كتب رداً عليهم الفقيه محمد الكسم الحنفي. كتب «الأقوال المرضية في الردّ على الوهابيَّة» ذكره في (معجم المؤلفين) ج ١٠ ص ٢٩٣.

● وممن كتب ردّاً عليهم محمد عطاء الله المعروف بعطاء كتب «الرسالة الردّية على الطائفة الوهّابيَّة» ذكره في «معجم المؤلفين» ج ١٠ ص ٢٩٤.

● وممن كتب ردّاً عليهم الفقيه عبدالمحسن الاشيقري الحنبلي. كتب «الردُّ على الوهابيَّة» ذكره في «معجم المؤلفين» ج ٦ ص ١٧٢.

● وممن كتب ردّاً عليهم المؤرِّخ إسماعيل التميمي التونسي أبو

الفداء . كتب «عقد نفيس» ردَّ فيه شبهات الوهابي . ذكره في (معجم المؤلفين) ج ٢ ص ٢٦٣ .

● وهناك كتب أخر أيضاً كتبت في الردِّ عليهم منها : «التوسُّل بالنبي وجهلة الوهّابيين» طبع في استانبول عام ١٩٧٥ م ، و(الدُّرَرُ السنيَّة في الردِّ على الوهّابيَّة) طبع في استانبول عام ١٩٧٦ م ، وهو للسيد أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية في مكة المكرمة . ذكره في «هدية العارفين» ج ١ ص ١٩١ .

ومنها (ضلالات الوهّابيِّين) طبع في استانبول عام ١٩٧٦ م

● و(الأصول الأربعة في ترديد الوهّابية) للخواجة محمد حسن ذكره في كتابه «العقائد الصحيحة في ترديد الوهابية النجدية» و«المسائل المنتخبة» و«التوسّل بالموتى» طبع في استانبول عام ١٩٧٦م . و«علماء المسلمين والوهابيون» جمعه الأخ حسين حلمي إيشيق . طبع في تركية استانبول عام ١٩٧٣ م ، وهو مجموعة خمس رسائل ؛ الاولى : (ميزان الكبرى) للشيخ عبدالوهاب الشعراني المصري . الثانية : (من شواهد الحق) للشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني ، رئيس محكمة الحقوق في بيروت سابقاً . الثالثة : (العقائد النسفي) للشيخ عمر بن محمد الحنفي ، الرابعة : (من معربات المكتوبات) للشيخ أحمد بن عبدالأحد الفاروقي الحنفي النقشبندي . الخامسة : (رسالة في تحقيق الرابطة) للشيخ خالد البغدادي . وهذه الكتب من منشورات مكتبة إيشيق كتاب أوي ، استانبول ، تركية .

● وكتب في الردِّ على محمد بن عبد الوهاب ، أحمد بن علي البصري الشهير بالقبّاني كتاباً أسماه «فصل الخطاب في ردِّ ضلالات ابن عبدالوهاب» ذكره اسماعيل باشا في (إيضاح المكنون) ج ٢ ص ١٩٠ طبع دار الفكر عام ١٤٠٢ هـ .

● وردَّ على محمد بن عبدالوهاب أيضاً فضيلة الشيخ السيد أحمد بن زيني دحلان مفتي مكة المكرمة في الجزء الثاني من كتابه «الفتوحات الاسلامية» طبع مصر عام ١٣٥٤ هـ مطبعة مصطفى محمد. أنظر الصحيفة ٢٥٦ (الى) ٢٦٩ منه، وذكر رحمه الله أنَّ هناك كتباً ورسائل كتبت في الردِّ على محمد بن عبدالوهاب لم يذكر أسماءها.

قال: وممن ألَّف في الرد على ابن عبدالوهاب أكبر مشايخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح ابن حجر علي بافضل.

وقد استخرج ردّ السيد المفتي على الوهابيين من كتابه (الفتوحات الاسلامية) وطبع مستقلاً تحت عنوان «فتنة الوهابية» في استانبول عام ١٩٧٥ م.

وذكر اسماعيل باشا البغدادي في «هداية العارفين» المطبوع في استانبول عام ١٩٥١ م، والمعاد طبعه بالأوفسيت في بيروت عام ١٤٠٢ هـ في الجزء الاول منه ص ١٩١ في عداد مؤلفات السيد أحمد بن السيد زيني دحلان كتاباً إسمه «الدُّرر السنيَّة في الردِّ على الوهّابية».
وقد أشار اليه الشيخ يوسف النبهاني في كتابه «شواهد الحق في الاستغاثة بسيّد الخلق» فقال: إنَّ للسيد أحمد دحلان مفتي الشافعية كتاباً مستقلاً في الردِّ على الوهابية.

وقال خير الدين الزركلي في كتاب «الأعلام» ج ١ ص ١٣٥: له رسالة في الردِّ على الوهّابيَّة.

ونقل في الباب الثالث في «شواهد الحق» منه ما فيه كفاية في إثبات الحق وإزهاق الباطل، كما ردَّ شبههم فيه بأوضح بيان وأقوى دليل، وقد استوعب كلامه ستاً وعشرين صحيفة. راجع ص ١٥١ منه الى ١٧٧ وكلُّه ردٌّ عليهم وطعن بهم.

وذكر في «شواهد الحق» ان للشيخ مصطفى بن أحمد الشطي الحنبلي رسالة مخصوصة سمّاها «ألنقول الشرعية في الردِّ على الوهّابية» طبعها ونشرها .

و بعد أن أحطتك علماً أيُّها الاخ المسلم بالمذهب الوهّابي وحقيقته ، وعرَّفتك بأنَّه مذهب مبتدع مخالف لكافة مذاهبنا الأ ربعة ، وذكرت لك ما وقفت عليه من أسماء كتبٍ كتبها علماؤنا قدَّس الله أرواحهم في الردِّ عليه وإبطاله ونقضه ودحضه . فالحذار الحذار من مودَّة أتباعه وأوليائه .

ثم إياك أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم «وإذا قيل لهم اتَّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتَّبع ما وجدنا عليه آباءنا» فردَّ الله عليهم وذمَّهم على هذا الجواب بقوله «أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير» .

أو من الَّذين (قالوا : أجئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا) فتجاب بقوله تعالى (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) .

وأخيراً أتمنى لك أيّها الاخ المسلم التوفيق والتسديد ، وأسأل الله تعالى لك العصمة من كلِّ بدعة وضلالة سبيلها النار .

وأرجو أن تكون حرّاً في دراستك ومطالعاتك ، حرّاً في عقيدتك وإيمانك ، كما يريد الله سبحانه منك ، وأن لا تكون عبد غيرك وقد ولدتك أمك حراً .

والسلام عليك وعلى من اتَّبع الهدى ، وحاد عن سبيل الغيِّ والضلالة والرَّدى ، ورحمة الله و بركاته .

أخـــوك

إحسان عبد اللطيف

البكـــري

هذا الكتاب

- يعرض عقيدة الوهابية من مصادرها ، ويكشف عن اسرارها . وما ترتب عليها من نتائج.
- يذكر اجتماع المؤلف مع علماء الوهابية ، وما داربينه وبينهم من المحاورات في مكة والمدينة.
- يحدد معنى التوحيد ، وحقيقة العبادة كما جاءت في كتاب الله ، وسنة الرسول الأعظم (ص).
- يتكلم عن محمد عبد الوهاب مؤسس المذهب ، ويحلل أهدافه ومراميه.
- يترجم بايجاز لجميع الامراء السعوديين الوهابيين ، والبلاد التي حكمها كل منهم ، وما مني به اخفاق ، أو اصابة من نجاح .. وغير ذلك.

منظمة الاعلام الاسلامي
معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية
طهران- ص.ب- ١٤١٥٥/١٣١٣
الجمهورية الاسلامية في ايران

السعر : ٢٦٥ ريا